إنْ كَانَ أَحَدٌ يَخدِمُني فَلْيَتْبَعْني،
وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ
خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي
يُكْرِمُهُ الآبُ.

خدمة **الشمامسة**

نحو الفاعلية والتأثير

الشمامسة

إنْ كَانَ أَحَدٌ يَخدِمُني فَلْيَتْبَعْني،
وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ
خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي
يُكْرِمُهُ الآبُ.

القس باسم عدلي

الشمامسة

خدمة الشمامسة نحو الفاعلية والتأثير

بقلم

القس باسم عدلي

دار الثقافة

ص ٤

ما الصورة الكتابية الأصيلة التي يقدمها الكتاب المقدس في عهديه لصياغة ملامح شخصية الشمَّاس؟

ما الواقع الذي تعيشه قضية الشموسية هذه الأيام وما طرأ عليه من متغيرات ومستجدات؟

ما المستقبل الذي نحلم به ليس كمجرد منتظرين بل مشاركين؟

أسئلة يطرحها كتاب " الشمامسة" ويتناولها بالبحث، ولعلها أسئلة يطرحها الواقع الكنسي أيضًا.

مقدمة الدار

هذا الكتاب

يبدأ بتذكير الكنيسة بالصورة الكتابية الأصيلة التي يقدمها الكتاب المقدس في عهديه لصياغة ملامح شخصية الشمَّاس، ثم يتناول تفعيل وتعميق خدمة ودور الشمامسة في خدمة الكنيسة والمجتمع.

إن دور الشمامسة هو الاهتمام بخدمة احتياجات الناس المادية بطريقة روحية وأيضًا الاهتمام باحتياجات والتزامات الكنيسة المادية والروحية. فهل هذه المعلومة تعتبر تحصيل حاصل تعرفه كل الكنائس؟ قد تكون الإجابة نعم، لكنها إجابة تثير تساؤلاً آخر عما يحدث بالفعل في أرض الواقع سواء من ناحية الشمامسة أنفسهم أو نظرة الكنيسة لدرجة الشموسية ومدى الإحساس بأهميتها وتقديم كل ما يتيح لها أن تقوم بدور فعال في الخدمة.

يلفت الكاتب نظرنا بمدى اهتمام اللاهوتيين على مر التاريخ بدور الشمَّاس/ الشمَّاسة، وأهمية هذه الخدمة وكيفية تنظيمها بداية من مارتن لوثر ومرورًا بجون كالفن والقديس أغناطيوس الأنطاكي إلى أن نصل للعصر الحديث فيشير الكاتب إلى كتاب «المرشد الكنسيّ للشيوخ والشمامسة» وأيضًا «دستور الكنيسة».

ويخلص الكاتب إلى أن دور الشمَّاس هو الشاهد والمدافع بل والشهيد.

لكن الواقع يرصد بعضًا من السلبيات، فعندما تُصنَّف الخدمات الكنسية تصنيفًا هرميًا، فإن خدمة الشموسية تأتي في قاعدة الهرم، وقد تسند الكنيسة هذه الوظيفة لصغار السن، وبالتالي قد تهمل تقديم التعليم الجيد المدقق والمتأني للتعريف بهذه الخدمة لكل من يترشحون لها. يترتب على هذا غياب دور التأديب الكنسي في التعامل مع قضايا هذه الخدمة

ومن يقومون بها.

وبالطبع تكون النتيجة أن العضو يختار شماسًا ومن الناحية الأخرى يُرسم الشمَّاس دون أن يعرف جيدًا ما هي طبيعة هذه الخدمة ومجالاتها.

فهناك إذًا أزمة كما يرى الكاتب لكنه أيضًا يرى أن هناك حلولاً تتميز بالإبداع، سواء من ناحية الشمامسة ومنها الاهتمام بالاستعداد الجيد والتثقل بالكرازة والتوظيف الجيد للقدرات والمواهب. أو من ناحية التنظيم الكنسي باتخاذ وقفات جادة ومنتظمة لإعادة تقييم وإصلاح الفكر المصلح، وإعادة صياغة الدساتير والقوانين واللوائح بما يتيح مجال خدمة أفضل، و تنمية وتفعيل الهيكل الإداري للشمامسة.

هذا الكتاب مرجع لا غنى عنه لكل كنيسة تريد أن تضع يدها على توصيف لخدمة الشموسية وتنمية هذه الخدمة.

دار الثقافة

تقديم

هذا الكتاب -حسب علمي- هو أشمل دراسة أجريت باللغة العربية على موضوع الشمامسة. فالكاتب يقدم دراسة لنشأة هذه الخدمة، وتطورها من خلال العديد من نصوص العهد الجديد، في محاولة جادة لفهم معاني الكلمة ومدلولاتها المختلفة وإدراك أبعاد هذه الخدمة.

يستعرض الكاتب خدمة الشموسية في الكنائس والتقاليد المختلفة وكذلك في فكر آباء الكنيسة ولاهوتييها في مختلف العصور، راصدًا لفترات نمو هذه الخدمة وفترات تدهورها. ويفسح الكاتب مساحة طيبة لدراسة خدمة الشموسية بين النساء والرجال، محاولاً تقديم مقترحات تطبيقية جديدة للكنيسة المعاصرة لتطوير هذه الخدمة، راغبًا في أن يُخرِج خدمة الشموسية من إطار التطبيق الضيق الذي حبسها لزمن طويل في ممارسات محدودة مثل جمع العشور والعطايا وتوزيعها على الفقراء.

تهنئتي للكاتب بهذه البداية الطيبة، ومبروك للكنيسة هذا الكتاب الجيد، والأهم هو إضافة اسم جديد من أبناء الكنيسة إلى عالم الباحثين والكُتَّاب المبدعين.

د. ق. عاطف مهني المعصراني

عميد كلية اللاهوت الإنجيلية

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى زوجتي الحبيبة أماني
وابنيَّ الأحباء يوسف وايمي

مقدمة المؤلف

خدمة الشماس من أهم الخدمات الكنسية وأعمقها أثرًا في حياة الكنيسة على مر التاريخ منذ بداية الكنيسة في عصرها الأول؛ فقد كانت البداية الرسمية لهذه الخدمة حلاً عبقريًا للتعامل مع أحد تحديات بل وأزمات الكنيسة في مهدها، واتسعت لتكون خدمة رسمية في كثير من الكنائس المحلية في العصر الرسولي الأول واشترك فيها المؤمنون رجالاً ونساءً دون تفريق وقد أصّل لها بولس الرسول في العديد من كتاباته أبرزها في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس الإصحاح الثالث.

وبمرور الأيام والسنين، أخذت هذه الخدمة أطوارًا متعددة كان الاتجاه الغالب فيها إلى الشكل دون الموضوع، والظاهر دون الجوهر. وتحول الحل المبدع إلى تقليد خامل ظل لقرون عديدة إلى أن أشرقت أنوار الإصلاح الكنسي الذي بدأ في الاهتمام بهذه الخدمة وركز الأضواء عليها وتناولها بنوع من نقد الواقع ومحاولة الإصلاح، وقد نجح في إزالة الكثير من الغبار الذي علق بها. ولكن مع الأسف بعد هذه المرحلة الهامة في تاريخ هذه الخدمة لم يتناولها الفكر المسيحي بالتجديد والتطوير وخصوصًا الفكر المُصلح وبقيت على حالها- ناهيك عن أوضاعها في الكنائس غير المُصلحة.

لذلك أرى أنه لابد من إعادة التفكير في هذه الخدمة لأنها تعرضت - وخصوصًا في الفترة الأخيرة - إلى نوع من التهميش الذي جعل تأثيرها ضعيفًا وباهتًا بل والإقبال عليها قليلًا والاقتناع بها هزيلاً. فقد تعرضت لأخطاء وسوء تعامل سواء بقصد أو بدون قصد جعلها خدمةً بلا ملامح، ولقبًا بلا فاعلية، وجهودًا مبعثرة تفتقد وضوح الرؤية ورصانة الهدف.

كل هذا دفعني إلى الرغبة في دراسة جادة وعميقة عن هذه الخدمة الهامة التي يمكن أن يكون لها شأن عظيم في كنيستنا ويمكن أن تصنع نهضة حقيقية في حياة الكنيسة وعلاقتها بالمجتمع من خلال إحياء هذه الخدمة وإعادتها لتكون موضع بحث وحوار وتقييم وإبداع وتجديد.

وقد حاولت مراعاة ثلاثة أبعاد مرجعية هامة وأساسية عند صياغة هذه الأفكار:

الأولى: الصورة الكتابية الأصيلة التي يقدمها لنا الكتاب المقدس في عهديه لصياغة ملامح شخصية الشماس. **الثانية:** الواقع الذي نعيشه هذه الأيام وما طرأ عليه من متغيرات ومستجدات لابد أن نتناولها جيدًا بالتأمل والتفكير العميق. **الثالثة:** المستقبل الذي نحلم به الذي لا نكون مجرد منتظرين له بل مشاركين بفاعلية في معطياته.

وقد انتهيت إلى أربعة أبواب أرى أنها تخدم هذه القضية:

الباب الأول: التعريف اللغوي والاستخدام والمهام والمواصفات الكتابية ونظرة لخدمة الشموسية على مر التاريخ والكنائس التقليدية وتناولها لهذه الخدمة وشموسية المرأة وكافة القضايا النظرية لهذه الخدمة.

الباب الثاني: التركيز على الشمامسة السبعة في سفر أعمال الرسل والأزمة التي واجهت الكنيسة وكيف تم التعامل معها.

الباب الثالث: يتناول بالدراسة خدمة ثلاثة من أهم وأبرز الشمامسة في تاريخ الكنيسة والقضايا العملية التي يمكن أن نستخلصها منها.

الباب الرابع والأخير: يقدم محاولة لتشخيص المشكلة الحالية لهذه الخدمة ومبادئ للتعامل مع رؤية شخصية كمبادرة لإحياء وتفعيل وتنمية هذه الخدمة التي يمكن أن تدفع الكنيسة للأمام إذا ما تفاعلت الكنيسة العامة والمحلية وأعطت اهتمامًا خاصًا لهذه الخدمة، ثم نماذج من محاولات أعتبرها استرشادية للاطلاع والتقييم والاستفادة يمكن أن تساهم في تنشيط أفكارنا تجاه إحياء وتفعيل وتعميق خدمة ودور الشمامسة في خدمة الكنيسة والمجتمع. أرحب بكل اقتراح أو إضافة أو نقد لهذا العمل كما أصلِّي أن تكون هذه الدراسة إضافة حقيقية وباعثًا للتركيز على خدمة الشموسية في كنائسنا لمجد الله في الكنيسة والمجتمع.

القس باسم عدلي

المحتويات

مقدمة الدار ٣

تقديم ٥

إهداء ٦

مقدمة المؤلف ٧

الباب الأول :

خدمة الشموسية ١١

الفصل الأول: الشموسية كما وردت في النصوص الكتابية ١٣

الفصل الثاني: شموسية المرأة ٣١

الفصل الثالث: الشموسية في تاريخ الفكر المسيحي والكنائس التقليدية ٤١

الباب الثاني :

الخدمة الاجتماعية في الكنيسة الأولى والشمامسة السبعة ٥١

الفصل الأول: الكنيسة والخدمة العملية ٥٣

الفصل الثاني: فكرة الشموسية: الأزمة والإبداع في الحل ٥٧

الفصل الثالث: الخدَّام السبعة ٦٩

الباب الثالث:

نماذج من خدمة الشمامسة في الكلمة المقدسة ٧٩

الفصل الأول: النظرية والتطبيق، المدافع والمبشر، استفانوس وفيلبس ٨١

الفصل الثاني: المرأة الشماسة فيبي ١٠٣

الباب الرابع:

إحياء وتفعيل خدمة الشموسية ١٠٧

الفصل الأول: نظرة على واقع خدمة الشمامسة في كنيستنا اليوم ١٠٩

الفصل الثاني: رؤية شخصية لإعادة التقييم والتعامل مع تحديات الخدمة وتطويرها ١١٣

الفصل الثالث: نموذج استرشادي لمنهاج وصفه السيد المسيح لخدمة الشموسية «خدمة الإنسان» ١٢٧

الفصل الرابع: نموذج استرشادي للكنيسة المحلية «مجلس الشمامسة» ١٣٣

الفصل الثالث: نموذج استرشادي للكنيسة العامة «المجلس العام للشمامسة» ١٣٧

الخاتمة ١٤١

المراجع ١٤٣

خدمة الشموسيَّة

في هذا الجزء ندرس النصوص الكتابية التي جاءت في الكتاب المقدس عن الشموسية من حيث المواصفات والدور، وأيضًا قضية المرأة الشماسة، وكيف تناول تاريخ الفكر المسيحي خدمة الشمامسة، وأيضًا لمحات عن الشموسية في الكنائس المختلفة. وأرى أن هذه المحطات هامة جدًّا عندما نقترب من دراسة تختص بخدمة الشمامسة.

الفصل الأول

الشموسيَّة كما وردت في النصوص الكتابية

في هذا الفصل نتعرض للصورة الكتابية التي سُجلت في النصوص الكتابية عن الشموسية من حيث المعنى والمواصفات والدور والمكافأة وهل هي موهبة خاصة؟ مما يمكِّننا من وضع أسس لدراسة هذا الموضوع على أرضية كتابية سليمة

المعنى والاستخدام الكتابي

كلمة «شماس» ترجمة للكلمة اليونانية «دياكون» وتعني خادمًا وهو مَن يقوم بخدمة المحتاجين ومساعدة الآخرين، وتُستعمل لفظة «دياكونوس» مرارًا في العالم اليوناني، فتدلّ على الخادم. أما الفعل «دياكوناين» فيدلّ على خدمة المائدة، وقد استُخدم في اليونانية الكلاسيكية للدلالة على خدمة المعابد. والكلمة العبرية كفعل جاءت لوصف عمل الكاهن في الهيكل حيث «يخدم» «يشمش» فهي تعبير عن خدمة الكاهن التي يقوم بها في الهيكل، كما استُخدمت أيضًا كفعل لوصف الطالب الذي يحفظ العلوم الدينية على يد أحد العلماء ولا يقصر في «خدمة» العلماء الذين يعلِّمونه. كما تشير إلى الملائكة في محضر الله الذين يخدمون الله «يشمشون».

واستُخدمت كاسم بمعنى خدمة الشموسية «شموشة» وكانت تشير إلى خدمة العبادة

في الهيكل وخدمة الطالب لأستاذه، وتشير في المعنى غير الديني إلى «جرسون» أو «نادل» وهو الذي يقوم بخدمة الزبائن في المطاعم وخصوصًا خدمة المائدة الخاصة بالأطعمة، وهذا في الأصل الآرامي الذي تُرجم به العهد القديم، واستُخدمت أيضًا لوصف عمل المسئولين عن المعابد والجمعيات الدينية أو الشخص المرسل لتوصيل خبر.

أما استخدام الكلمة «دياكون» في الكتاب المقدس فنجدها كالآتي:

لا ترد كلمة «شمَّاس» أو «شمامسة» في الترجمة العربية للكتاب المقدس (ترجمة فانديك) إلا في موضعين: الرسالة إلى فيلبي (١: ١)، والرسالة الأولى إلى تيموثاوس (٣: ٨-١٣). وقد استُخدمت في الكتاب المقدس كفعل وكاسم. وفي الأصل اللغوي يذكر Derek Gentle في مقاله عن الشمامسة أن جذر الكلمة «دياكون». وقد وردت الكلمة في الكتاب المقدس- العهد الجديد مرات عديدة منها ٣٤ مرة جاءت بصيغة الفعل الذي يترجم «يخدم أو يشمس» وجاءت ٢٩مرة معبِّرةً عن الاسم «خادم أو شماس» تُرجمت خمس مرات بكلمة «شماس» Deacon و٢٤مرة بكلمة «خادم».

وإليك بعض استخداماتها في الكتاب المقدس:

١- تستخدم في يوحنا ٢ كمعنى مألوف بمعنى «نادل أو جرسون» للمسيح وهو وصف للخدام الذين ينتظرون ماذا يطلب منهم المسيح ليفعلوه لإجراء المعجزة كأنهم المسئولون عن خدمة المائدة. وهكذا أيضًا في متى ٢٢: ١٣ «حينَئذٍ قالَ المَلِكُ للخُدّامِ: اربُطوا رِجلَيهِ ويَدَيهِ، وخُذوهُ واطرَحوهُ في الظُّلمَةِ الخارِجيَّةِ. هناكَ يكونُ البُكاءُ وصَريرُ الأسنانِ.» فهم خدام الملوك. وفى مواضع أخرى في الأناجيل مثل لوقا ٢٢: ٢٦ وأمّا أنتُمْ فليس هكذا، بل الكَبيرُ فيكُم ليَكُنْ كالأصغَرِ، والمُتَقَدِّمُ كالخادِمِ. « وتشير إلى كل مؤمن، فكل مؤمن خادم، ويجب أن يكون كذلك.

٢- كما تُستخدم الكلمة «دياكونوس» ومشتقاتها، في العهد الجديد بالارتباط بخدمة

الاحتياجات المادية (رو ١٥: ٢٥، كو ٨: ٤)، بل وتُطلق على «الخدام» الذين كانوا في عرس قانا الجليل (يو ٢: ٥ و٩)، وعلى خدمة مرثا في عبارة «أخدم وحدي» (لو ١٠: ٤٠)، وكما قيل عن حماة بطرس: و«صارت تخدمهم» (مر ١: ٣١)

٣- واستُخدمت أيضًا عن المسيح في متى ٢٠: ٢٧، ٢٨ «ومَنْ أرادَ أنْ يكونَ فيكُم أوَّلًا فليَكُنْ لكُمْ عَبدًا، كما أنَّ ابنَ الإنسانِ لم يأتِ ليُخدَمَ بل ليَخدِمَ، وليَبذِلَ نَفسَهُ فِديَةً عن كثيرينَ» الذي جاء يخدم وبالتالي نجد أن الدياكون هو الشخص الذي يخدم المسيح ويكون مع المسيح . ويوضح يوحنا ١٢: ٢٦؛ ١٣ نوعية الخدمة في إجراء غسل الأرجل.

٤- الإصحاح السادس في سفر الأعمال من أشهر وأهم الأجزاء الكتابية عن هذا الموضوع حيث يذكر قصة الشمامسة، ونلاحظ ما ذكره سفر أعمال الرسل في عدد ٢ «فدَعا الِاثنا عشَرَ جُمهورَ التلاميذِ وقالوا: «لا يُرضي أنْ نَترُكَ نَحنُ كلِمَةَ اللهِ ونَخدِمَ مَوائدَ» وكلمتا (خدمة الكلمة) و(نخدم موائد) يشيران إلى الشموسية وبالتالي إلى نوعين من الشموسية: شماس الموائد، وشماس الكلمة.

٥- كما يستخدم الرسول بولس الفعل «دياكونيو» في الإشارة إلى «الذين كانوا يخدمونه» (أع ١٩:٢٢).

٦- استخدام الرسول بولس للكلمة دياكون مضافًا إليها كلمات أخرى مثل:

«شمامسة المسيح» (٢ كو ١١: ٢٣) «شمامسة البر» (٢ كو ١١: ١٥) ، «شمامسة الإنجيل»، «شمامسة الكنيسة» (كو١: ٢٥)، «شمامسة العهد الجديد» خدام عهد جديد.

وكل كلمة من هذه «خدَّام» استُخدمت لها كلمة دياكون التي تعني شماسًا وخادمًا ونراه يطلق أيضًا كلمة دياكون أي شماس على «بولس وأبلوس» (كو ٣: ٥)، تيموثاوس (١تي ٤: ٦) تيخيكس (أف ٦: ٢١) وأبفراس (كو ١: ٧)، فيبي (رو ١٦: ١) بل وأيضًا في (رو ١٥: ٨) لقِّب بها

المسيح شماس الختان أي خادم الختان «وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء».

وأيضًا أطلقها على الموظف المدني الذي يتقلَّد السلطة العامة بين الناس فهو أيضًا خادم الله «شماس لله» رو ١٣: ٤ «لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! وَلكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا، إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ».

المواصفات الكتابية للشمامسة

«كَذلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الشَّمَامِسَةُ ذَوِي وَقَارٍ، لاَ ذَوِي لِسَانَيْنِ، غَيْرَ مُولَعِينَ بِالْخَمْرِ الْكَثِيرِ، وَلاَ طَامِعِينَ بِالرِّبْحِ الْقَبِيحِ وَلَهُمْ سِرُّ الإِيمَانِ بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ. وَإِنَّمَا هؤُلاَءِ أَيضًا لِيُخْتَبَرُوا أَوَّلًا، ثُمَّ يَتَشَمَّسُوا إِنْ كَانُوا بِلاَ لَوْمٍ. كَذلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ النِّسَاءُ ذَوَاتِ وَقَارٍ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، صَاحِيَاتٍ، أَمِينَاتٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ. لِيَكُنِ الشَّمَامِسَةُ كُلُّ بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، مُدَبِّرِينَ أَوْلاَدَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ حَسَنًا» (١تي ٣: ٨ – ١٣).

نلاحظ أن توجيهات الكتاب المقدس وتعاليمه بخصوص خدمة الشموسية لا تركز على المواهب والوزنات والإمكانيات التي يتمتع بها الشخص الذي يُختار لهذه الخدمة ولكننا نجد التركيز على حياتهم وصفاتهم وأخلاقياتهم وكيف تكون حياتهم مُرضية وصالحة، والاهتمام (بمن هم) أكثر من الاهتمام (بما يعملوا).

إن اختيار شماس هو اختيار خادم، والمواصفات التي يجب أن يتم الاختيار بناء عليها هي المواصفات التي يُختار بها خادم لكنيسة الرب يسوع، وليس هناك شرط من شروط اختيار الخادم يمكن التغاضي عنه عند اختيار الشماس، ولكن بالإضافة إلى تلك المواصفات فإننا نرى مواصفات أخرى تخص الدور الذي يقوم به الشماس وطبيعة خدمته، وبالتالي فلكل خدمة أو وظيفة أو دور من الأدوار التي يختار لها الخدام مواصفات عامة تنطبق على الكل. ولكن هناك أيضًا مواصفات خاصة تخص طبيعة الدور الذي يقوم به كل خادم حيث المواصفات التي تساعده وتؤهله لإنجاز هذا الدور بشكل أفضل. فعلى سبيل المثال نجد هناك مواصفات خاصة

بالمدبرين في الكنيسة لكي تساعدهم على إنجاز خدمتهم بشكل أفضل. وهناك مواصفات خاصة لمن يهتمون بالدور التعليمي في الكنيسة.

وكذلك مهمة الشمامسة حيث إن طبيعة خدمة الشمامسة كانت تقتضي العمل بين الأفراد ودخول البيوت ومعرفة الاحتياجات بطريقة أكثر قربًا، ومعرفة الظروف الخاصة بكل أسرة. وهذه الأمور تقتضي حكمة وسرية وطريقة تعامل مختلفة. وهذا ما يؤكده William M. Ramssy في كتابه «التفسير التاريخي للرسائل الرعوية» ولذلك كان يجب أن يكون لهم مواصفات خاصة للقيام بهذا الدور.

ويقدم لنا بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس - الإصحاح الثالث- المواصفات الخاصة والمؤهلات الواجبة في شخصية شماس الكنيسة (١تي ٣: ٨- ١٣).

وهذه المواصفات تأتي بعد مواصفات الأساقفة. وبالمقارنة بين المواصفات المذكورة عن الشمامسة مع تلك المذكورة عن الأساقفة نجد تشابهًا كبيرًا بين تلك المواصفات لأنها أولاً وأخيرًا هي مواصفات خدام لكنيسة محلية لكن الاختلافات الطفيفة بينهم أمور خاصة بطبيعة الدور المنوط بكل منهم.

وسوف أركز الآن على كل صفة على حدة ثم نجملها في مبادئ عامة للشمامسة سواء الرجال أم النساء.

يقدم بولس الرسول في ١ تيموثاوس ٣: ٨ – ١٣ المواصفات الخاصة بالشمامسة الرجال والنساء. وسوف أركز أولًا على المواصفات الخاصة بالرجال ثم المواصفات الخاصة بالنساء.

المواصفات الخاصة بالشمامسة الرجال:

١- «ذوي وقار»:

وهي تعنى مستحق للوقار والاحترام والكرامة وذا حياة تقوية مقدسة. ونرى أن عنصر

الوقار مهم جدًّا لأن الخدمة والخادم لابد أن يتصفا بقدر كبير من الاحترام لأنها تعبِّر عن شخصية من نخدمه وهو السيد الذي له كل المهابة، فالشخص الطائش والمهذار لا يمكن أن يكسب ثقة وتقدير الآخرين كما أنه يسيء إلى نفسه وإلى خدمته وإلى الكيان الذي يتبعه.

٢- «لا ذوي لسانين»:

العبارة تحمل معاني متعددة مثل نشر الفضائح وترويج الشائعات وأيضًا تحمل معنى الازدواجية التي فيها يتم توجيه كلام لشخص وكلام مختلف لشخص آخر. وقد جاءت في اليونانية بمعنى أن لا يتكلم بلسانين فهو يتعامل مع الجميع بقول واحد دون أن يتهرب من المواقف أو الأشخاص مستخدمًا الكذب أو النفاق أو الكلمات التي تحمل معنيين.

وبالتالي فإن الأمانة والاستقامة واجبتان في خدمة الشموسية وخصوصًا لأن هذه الخدمة تتعلق بأمور خاصة وحساسة.

٣- «غير مولعين بالخمر الكثير»:

إدمان الخمر وحياة السكر تجاوزات مفرطة وغريبة على الروح والشخصية المسيحية فلابد أن يكون المسيحي صاحيًا ومتعقلا ومنتبهًا ويقظًا فإنه لا يمكن أن نثق في سكير ولا يمكن أن يُفتح الباب للمدمنين فالسكر والإدمان يطرحان الثقة خارجًا ويدمران الشهادة.

٤- «لا طامعين بالربح القبيح»:

كل انتفاع غير صحي سواء مادي أو معنوي كدافع ومحرك للخدمة هو ربح قبيح يسيء إلى الخدمة. وأي سلوك في طرق ملتوية للحصول على انتفاع بطريق غير مقدس لا يجب أن يكون في عقول الخدام سواء فكرًا أو عملاً. ويجب أن يتجرد الخادم من كل دافع للكسب المادي دون إقامة وزن للأمور المادية العالمية.

ونظرًا لارتباط خدمة الشمامسة بالجوانب المالية يقول الأب بولس الفغالي في تفسيره لهذا

الجزء: إن الخدام قد يصبحون مرتزقة يستغلون القطيع وخصوصًا في تعاملهم مع المال سواء الذي يجمعونه أو الذي يوزعونه.

٥- «لهم سر الإيمان بضمير طاهر»:

يستخدم بولس كلمة «سر» ليعني بها ما قد أصبح مكشوفًا ومعروفًا بعد أن كان مخفيًّا ومبهمًا. والعبارة تعني السر الذي مادته الإيمان المسيحي وهي تعني متمسكين بإيمانهم الذي هو سر ولائهم للمسيح محتفظين به في ظل حماية ضمير صالح. وكلمة الإيمان تشير أيضًا إلى مجموعة الحقائق الإيمانية، ففي ترجمة كتاب «الحياة» تأتي «يتمسكون بحقائق الإيمان الخفية بضمير نقى» وهي بالتالي توضح مجمل الحقائق الخفية التي كشفها الله وأيضًا التعليم القويم والعقيدة السليمة والحفاظ عليهم بحرص دون تساهل أو تهاون في متطلباتهم أو تفسيرهم بل يعيشون التعليم النقي بأمانة تحت وصاية هذا الضمير الطاهر غير المتشكك.

٦- «يُختبروا أولاً ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم»:

الأمر هنا لا يشير إلى أنهم يمارسون مهام الشمامسة لمدة معينة ثم يتم تقييم هذه المدة، بل تعني أن يكون هناك تدقيق شديد وامتحان لهذه المواصفات المطلوبة. والاختبار هنا في معناه يشير إلى اختبار بهدف النجاح. فالوصية هنا ليست لتعطيل من يتقدم ولكن بالتدقيق في الاختيار والتشجيع على الخدمة بعد الفحص الدقيق من جماعة المؤمنين والتأكد من السيرة الحسنة والصفات المطلوبة. وإذا كان بلا لوم فلتتم رسامته. وهذه الوصية تتوازى مع ما جاء في مواصفات الأساقفة (١تى ٣: ٦-٧) وهي تعطي أهمية للتأكد من ثبات الإيمان ونقاء الدوافع وعمق الشركة مع الله والتأكد أن حياة هذا الشخص قد تغيرت وتجددت دون محاولة التظاهر أو النفاق الذي يُكشف بالمحك العملي. وتُقرن بوصية بولس في تيموثاوس الأولى ٥: ٢٢ «أن لا يضع يدًا على أحد بالعجلة».

٧- «بعل امرأة واحدة»:

في الأصل اليوناني زوج لامرأة واحدة. وهذه الصفة فُهمت بأبعاد مختلفة فالبعض رأى أنها تشير إلى أنه يُمنع من الزواج الثاني إذا ماتت زوجته وآخرون فهموا أنه لابد أن الذي يُرسم شماس يكون متزوجًا. ولكن بتحليل الشرط في سياقه الكتابي وأيضًا الثقافي والحضاري نرى أن هذا يعني أنه ليس متزوجًا بأكثر من واحدة حتى قبل اعتناقه للمسيحية حيث كان تعدد الزوجات أمرًا معتادًا، فالواقع اليهودي والروماني كان يقر هذا الأمر وما يتبعه من تمييز وطلاق وانتهاك للحقوق وأيضًا المؤامرات والأفكار المغلوطة وكسر العهود. وهنا يرجع بولس إلى قصد الله الأساسي والأصيل وهو زوج واحد لزوجة واحدة طول حياة كل منهما. ولاشك أن الله أراد أن يعيد صياغة فكر العالم تجاه هذا الأمر ومعالجة المشكلة من خلال الكنيسة التي هي الخليقة الجديدة ويجب عليها تقديم النموذج.

٨- «مدبرين أولادهم وبيوتهم حسنًا»:

رعاية الأولاد والبيت وإعطاؤهم العناية اللازمة وإدارة المنزل بحكمة تنتج طاعة وخضوعًا واحترامًا ووقارًا للأب وللأسرة عامة. إن قدرة الشخص على إظهار نجاحه في إدارة أمور الأسرة الصغيرة أحد مؤشرات نجاحه في إدارة أمور الأسرة الكبيرة، فكم من خدام لهم شهرة رائعة ولكن بيوتهم منهدمة. وهذا يحتاج إلى إعادة ترتيب الاهتمامات. ولذا فالسؤال المنطقي الذي يقدمه بولس الرسول في ١ تيموثاوس ٣: ٥ عن الأساقفة ينطبق أيضًا على خدمة الشمامسة، فإن لم يكن الشماس ناجحًا في إدارة أسرة صغيرة فكيف يمكن أن يكون ناجحًا في إدارة كنيسة الله؟

أما المواصفات الخاصة بالمرأة فسوف أوضحها في الفصل الخاص بشموسية المرأة

ويمكن اختصار المواصفات التي جاءت عن الشمامسة في١تيموثاوس في أربعةمبادئ محددة وهي:

١- حياة روحية صالحة:

من خلال الحياة الأمينة والاستقامة في الفكر والتصرف والحياة التقوية والدوافع النقية والشهادة الحسنة والأخلاقيات الصالحة والابتعاد عن كل ما يدمر الشخصية من نميمة ودوافع قبيحة واغتياب الآخرين وأن يكون الشخص بلا لوم.

٢- أسرة مستقرة:

من خلال الحياة الوفية والمحافظة على عفة ودوام رباط الزوجية وقدسية العلاقة وحسن إدارة وتدبير الشئون الأسرية وتربية الأولاد ليكونوا ثمرة صالحة لهذه الأسرة المستقرة فتقدم الكنيسة نموذجًا للأسرة كما قصدها الخالق.

٣- عقيدة سليمة ناضجة:

تتبع تعاليم الحياة المسيحية العاقلة الناضجة الملمة بحقائق الإيمان وصحة العقيدة المسيحية بضمير طاهر وهذا يحتاج إلى التأكد من ذلك بدون عجلة وأيضًا الالتزام بالحياة وفق فكر وعقيدة ومبادئ الكنيسة دون مهادنة أو مراوغة.

٤- شهادة حسنة:

هذه النوعية من الحياة التي تحيا حياة روحية صالحة، وفي أسرة مستقرة وعقيدة سليمة وناضجة بلا شك تكون النتيجة الطبيعية هي شهادة حسنة من الجميع، وهذا ما حرص عليه الرسل في أن يكون المختارون السبعة مشهودًا لهم. فإن شهادة الحياة أصدق من شهادة الكلام ولا يغني أحدهما عن الآخر.

ويضيف دستور الكنيسة الإنجيلية بخصوص مؤهلات خدمة الشمامسة: يجب أن يكونوا ممتلئين من التقوى، العطف، الحنو، بما يؤهلهم للقيام برسالتهم. وفوق ذلك يجب أن يكونوا ممتلئين من روح السخاء في إكرام الرب من مالهم ليكونوا قادة للشعب في استعمال الوزنات

التي سلمها لهم الرب احسن استعمال.

دور الشمامسة

معظم الآراء التي وردت لتوصيف دور الشمامسة كانت تشترك في أهمية اهتمامهم بخدمة احتياجات الناس المادية بطريقة روحية وأيضًا اهتمامهم باحتياجات والتزامات الكنيسة المادية والروحية أيضًا. ولمناقشة دورهم أقدم العديد من الأفكار والآراء لتوصيف هذا الدور.

- **مارتن لوثر:** الشماس يوزع العطايا على الفقراء من أجل إعفاء المرتسمين لخدمة الكلمة من الأعباء الإضافية، وبذلك يساهم في سد الاحتياج بالنسبة للفقراء ومساعدة خدام الكلمة لتقديم كل وقتهم لهذه الخدمة، وأيضًا الشمامسة هم من يساعدون شعب الرب بطرق عملية وملموسة تجسيدًا للأفكار والمبادئ التي تعملها الكنيسة.
- **جون كالفن:** قال إن الكنيسة لديها أربع مهام وهي: الكرازة وممارسة الفرائض الكنسية، وهذا عمل يقوم به الرعاة، ثم التعليم والتدريب، وهذا عمل يقوم به معلمون أكثر تأهيلاً، ثم العمل الرعوي والإرشاد في مجال إرسالية الكنيسة، وهذا عمل يقوم به الشيوخ، ثم الخدمات الإدارية والمالية والخيرية، وهذا عمل يقوم به الشمامسة.

وفي تفسيره لرسائل يتموثاوس وتيطس يذكر أن الله وضع هذا الدور- أي خدمة الشمامسة في كنيسته - من أجل ألا يكون الاهتمام بالفقراء ومساعدتهم بطرق عملية دورًا فرديًّا وشخصيًّا بل لكي يكون بشكل رسمي وبخدمة رسمية محددة ويكون بتعيين أشخاص لهذه الخدمة لكي يقوموا بها كأمر رسمي. ويقوم بهذه الخدمة ثلاثة أشخاص على الأقل في كل كنيسة محلية لإطعام الفقراء ورعاية الجمع والتوزيع. وأيضًا إدارة الشئون المالية والمساعدة في إدارة المباني الخاصة بالكنيسة والحفاظ عليها.

- **أنستاسيوس د. سالاباتاس:** كتب في مقالته عن الشموسية في رسائل القديس أغناطيوس

الأنطاكي- تعريب الأب أنطوان ملكي- «أنه في كل الإشارات المتعلقة بالموضوع يظهر الشماس نموذجًا أو رمزًا أو صورة للمسيح. تبدو الفكرة مستندة إلى العهد الجديد، ففي كلامه عن نفسه وعن خدمته على الأرض يقول السيد المسيح إن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم (διακονήσαι) بل ليخدِم (διακονηθήναι) وهكذا فهو يرى نفسه كشماس للكنيسة وللشعب مقدمًا بذلك للكنيسة نموذجًا أصليًّا (prototype) للشموسية».

- **Robert E. Naylor في كتابه The Baptist Deacon**

أعمال الخير وزيارة المرض والكرازة بالإنجيل وتعزيز وحدة الكنيسة وخدمات الصلاة والاحتياجات الروحية لجماعة الرب. إن مساعدة الرعاة وخدام الكلمة هو دور الشمامسة في الكنائس المحلية، والشمامسة هم من يخوّل إليهم خدمة الرب في هذه المجالات بطرق روحية فلا تؤدَّى هذه الأدوار بشكل مادي بعيدًا عن الروحانية في الأداء بل هم يخدمون احتياجات مادية بطريقة روحية. وخصوصًا عندما ما نرى أن اختيارهم في الكنسية الأولى كان مبنيًّا على مواصفات روحية وشروط جادة.

- **توصيف عمل الشمامسة في كتاب «المرشد الكنسيّ للشيوخ والشمامسة»:**

هذا الكتاب مهم في تناول عمل وخدمة الشيوخ والشمامسة من تأليف القس هندرسون- تعريب القس أنسي عبد الملك، صادر في بداية الخمسينات من القرن الماضي. وقد أشار إلى عمل لجنة الشمامسة في صفحة ٥٥-٥٦، كالتالي:

- جمع العشور والعطايا والتبرعات والتعهدات، وذلك بوضع خطة منظمة مع الإرشاد والتعليم عن هذه الواجبات، ثم توزيع هذه العطايا بواسطة أمين الصندوق، حسب إرشاد المجلس.

- وضع خطة للاشتراك مع أعضاء المجلس وقادة الجمعيات (قادة الاجتماعات) المختلفة للكنيسة، في عمل ميزانيات النواحي المختلفة التي تظهر الكنيسة نشاطها فيها.
- التعاون مع لجان صندوق الكنيسة في عمل موازنة حسابات الكنيسة، وذلك إن احتاج الأمر. ثم تقديم تقارير مكتوبة عن عمل لجنة الشمامسة في الاجتماع العمومي السنوي للكنيسة.
- الإشراف على استخدام أثاث الكنيسة والعناية به وتجديده إن لزم الأمر، مع الإحاطة علمًا بأنَّ الخدمات التبشيرية وتنظيمها من اختصاصات الخادم، وأن استخدام أية أجزاء من مباني الكنيسة يتم تحت سلطة الكنيسة. كما أن إقامة المباني الجديدة وصرف المبالغ الكبيرة لإصلاحات لازمة، أو أية مشاريع أخرى يجب أن تُناقش في اجتماع خاص تُدعى إليه الكنيسة.
- عمل توصيات للمجلس وللكنيسة بشأن خطط لمشروعات جديدة، يُعهَد بها للشمامسة.

التشاور مع الراعي ومع شيوخ آخرين من المتقدمين في الكنيسة وغيرهم بخصوص تنظيم وتوزيع الصدقات، والاجتهاد بقدر الإمكان في معرفة رغبة كل الأعضاء في الأمور المادية وغيرها التي تتصل بالكنيسة، حتى بالشركة في الخدمة تسير الأمور برضى وارتياح من الجميع.

• **دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر:** يضيف دستور الكنيسة بخصوص دور الشمامسة: يعاونون في عمل الرب من زيارة المرضى وخدمة الفقراء وإعانة المجرَّبين والكرازة بالإنجيل وتدبير حاجات الكنيسة المالية وتقديم مشروع الميزانية السنوية لمجلس الكنيسة ليفحصها ويقرر ما يراه بشأنها.

• **Paul Meigs في مقالته عن دور الشمامسة يقول:** «إن الشمامسة ليسوا هم مديري الكنيسة أو مجلس إدارتها ولا هم وظيفة شكلية مجازية ولا وظيفة شرفية ولم يُختاروا لوظيفة

مالية أو اجتماعية ولكن دورهم الأصلي هو خدمة روحية عملية في مساعدة الرسل في الخدمة الروحية والاهتمام والرعاية وتحرير خدام الكلمة للتفرغ للوعظ والصلاة ودراسة الكلمة وتعليمها.

وفى محاولة للوقوف على خدمة الشماس في العهد الجديد قدم Paul Meigs وآخرون البنود الأساسية لخدمة الشماس بحسب ما استخلصوا من ما جاء في العهد الجديد وكانت كالتالي:

١- الشمامسة الأوائل تمَّ اختيارهم لخدمة الموائد والاعتناء بالفقراء.

٢- الشمامسة يخدمون مع القسوس ويساعدونهم في تنفيذ البرنامج والرؤية التي يقودهم إليها الروح القدس ويدعمونهم بالصلاة والاستعداد لكل عمل من شأنه ترجمة الرؤية إلى عمل وخدمة.

٣- يخدمون ويهتمون باجتماعات المنازل وكل الأمور المتعلقة بممتلكات الكنيسة وإدارة المباني وكل ملحقاتها وما يتعلق بالصيانة والإصلاحات.

٤- يهتمون بترتيب احتياجات الكنيسة الزمانية والموارد المالية التي تدعم الخدمة والخدام وهذا يعفي القسوس من الارتباك بهذه الأمور.

٥- يساعدون القسوس في زيارة المرضى والذين لهم ظروف خاصة والاهتمام بالأعضاء غير البارزين في العمل والخدمة وتحفيزهم على المشاركة والاهتمام.

٦- يتولون كل المهام التي تؤدي إلى الحفاظ على وحدة وانسجام الجسد الواحد والأسرة الواحدة في الكنيسة كجماعة واحدة.

٧- على الشمامسة أن يقدموا النموذج المسيحي والقدوة الحسنة لباقي أعضاء الكنيسة في الولاء للكنيسة وحياة الوكالة.

وبالتالي لابد أن يكون الشمامسة:

أ- الأكثر انتماءً وانتظامًا في اجتماعات الكنيسة وخدماتهم المختلفة.

ب- الأكثر استعدادًا لقيادة وخدمة أي نشاط أو عمل كنسي.

جـ- الأكثر إلمامًا بتعاليم الكنيسة وعقيدتها والأكثر التزامًا بهذه العقيدة والتعاليم.

د- أكثر من لهم غيرة على الكرازة والتبشير وربح النفوس.

هـ- الأكثر استعدادًا لممارسة الفضائل الروحية.

و- الأكثر دعمًا للقسوس والشيوخ ومصلين معهم ولهم.

ز- الأكثر عطاءً أو استعدادًا لحياة الوكالة بحسب مفهوم العهد الجديد.

والخلاصة

أيًّا كان دور الشمامسة في الكتاب المقدس، فإنه يُترك للكنيسة قرار تحديد ماهية خدمتهم، ولكنه يقدم لنا ماهية حياتهم من خلال النصوص المختلفة التي تضع المواصفات والشروط لمن يقوم بهذه الخدمة. وأرى أن الكنيسة تحتاج أن توصِّف دور الشماس حسب احتياجها وحسب ظروفها الخاصة اجتماعيًا وثقافيًّا وحضاريًّا بمرونة وإيجابية واستغلال للطاقات والإمكانات فقد كان تركيز الكلمة المقدسة على المواصفات وترك توصيف الدور مفتوحًا أمام الاجتهاد والتفكير والإبداع في تقديم الخدمة. فالشموسية لم تكن قالبًا كنسيًّا متحجرًا ولا يجب أن تؤخذ بهذا الشكل بل يجب أن نفكر فيها باعتبارها أول مثال كتابي رسمي للتفويض بالمسئوليات التدبيرية والاجتماعية إلى الأشخاص المؤهلين بالأوصاف والمواهب اللازمة، لتحذو حذوهم كنائس الأمم، والإقرار بأن هذه الخدمات هي جزء لا يتجزأ من خدمة المسيح.

يقول د.ق مكرم نجيب في كتابه «بناة المستقبل من هم؟»: «إنه كثير ما يحدث الخلط بين المؤهلات وتحديد الاختصاصات والأدوار، فالكنيسة في كل مراحلها ربطت بين (الوظائف

والأدوار) وبين (المواهب) المؤهلة للقيام بهذه الأدوار كما أنها ربطت ما بين الوظائف والأدوار وبين الاحتياجات والظروف والمتطلبات التي تواجهها في كل مرحلة معينة مما يؤكد حتمية تطور الوظائف والأدوار الكنسية ليواكب تطور الخدمة في مواجهة التحديات المعاصرة»

مكافأة الشماس

«لأَنَّ الَّذِينَ تَشَمَّسُوا حَسَنًا، يَقْتَنُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَرَجَةً حَسَنَةً وَثِقَةً كَثِيرَةً فِي الإِيمَانِ الَّذِي بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ» (١ تي ٣: ١٣)

الذين «تشمسوا حسنًا» أي الذين يقدمون هذه الخدمة بدوافع نقية وبخدمة ملتزمة وجيدة ويحسنون هذه الخدمة فإنهم «يقتنون لأنفسهم» أي ينالون ويحرزون لأنفسهم أمرين:

أ- درجة حسنة: أي درجة رفيعة ومكانة وقدر. وفي تفسيره لدرجة حسنة قال «دونالد جوثري» إن درجة تعني خطوة. وهناك ثلاثة آراء لتفسيرها:

١- خطوة للترقي إلى وظيفة أعلى.

٢- وضع ممتاز وهي إشارة إلى التأثير والفاعلية التي يكتسبها الشخص من تقدير المجتمع الكنسي له.

٣- مكانة رفيعة في نظر الرب.

ويعلق قائلاً إن الرأي الأول لا يتماشى مع سياق الحديث، فهي ليست خطوة في طريق رسامته شيخًا لأنه ليس من المعقول أن تكون الإجادة في خدمة بغرض الانتقال إلى خدمة مختلفة. ولكل خدمة مهامها وأسلوبها ومواصفاتها الخاصة بها، وأيضًا ليست هناك خدمة أعلى أو أرقى من أخرى. أما الرأي الثاني فهو مقبول كما الثالث أيضًا وهو يعبِّر عن التأثير والفاعلية والتقدير الذي يناله الشخص في حياة الآخرين ليس السلطة الاستبدادية بل هو نفوذ التأثير والإجادة.

ب- ثقة كثيرة في الإيمان الذي بالمسيح يسوع:

إنهم يكسبون ثقة وجرأة كبيرة في الإيمان بالمسيح يسوع ويكونون أكثر جرأة في شهادتهم وإيمانهم أمام الله وليس هناك شك في إخلاصهم، وهذا يأتي كنتيجة طبيعية للخدمة الفعالة الأمينة، فالذي يعمل لدى الله يظهر الله له محبته وإكرامه بشكل ملحوظ.

يقول الأب بولس الفغالي في تفسيره لهذا العدد: «تنتهي التعليمات في عدد١٣، بتأكيد يعلن أن الشمّاس الذي يقوم بوظيفته على أكمل وجه، ينال مركزًا مرموقًا في قلب الجماعة، ولو لم تكن خدمته «رفيعة» في المعنى البشريّ. هذا لا يعني أنهم «يتقدّمون» ،بمعنى أنهم يرتفعون من درجة إلى درجة، كما هو الوضع الآن. فلا ننسى أن الشمّاس يُرسم لكي يكون شماسًا كل حياته: يحمل كلمة الله. يهتمّ بالفقراء. إن هو خدم حسنًا، لن يخجل أمام الله، ولا أمام البشر.. هذا ما كان عليه استفانوس وفيلبس اللذان تكرّسا لنشر كلمة الله. إن الثقة (أو الجرأة) التي يشعر بها «الخادم» تعرّفه أنه يقدر بالإيمان بيسوع المسيح، أن يقترب من الآب السماوي وينعم بحضرته. هنا نتذكّر ما قاله بولس لأهل أفسس ٣: ١٢ «ولنا فيه الجرأة، بالإيمان به، على الدنوّ من الله في ثقة لهذا لا نضعف».

هل الشموسية موهبة خاصة؟

البعض يعتقد أن الشموسية موهبة خاصة من مواهب الروح القدس بناء على إشارتين في الكلمة المقدسة فقد شملت قائمة المواهب في رومية ١٢: ٧ عن موهبه «الخدمة» وأصل هذه الكلمة جاء « الدياكونية» وكذلك أيضًا ما جاء في ١كو ١٢: ٢٨ عن موهبة «أعوانًا تدابير»

وهاتان الإشارتان جعلت بعض الآراء ترجح أن وظيفة الشموسية موهبة خاصة من الروح القدس تُعطى لبعض الأشخاص بطريقة خاصة للقيام بخدمة الكنيسة من خلالها. وبالتالي ينطبق عليها كل ما ينطبق على المواهب الروحية التي أعطاها الروح القدس للكنيسة.

ولكن بدراسة هذا الآراء تبيَّن ضعفها حيث يقول Alexander strouch في كتابه «شمامسة العهد الجديد»: «إن بولس وهو يتكلم عن «الخدمة» الدياكونية في قائمة المواهب الروحية لم يتكلم عن خدمة خاصة كالشموسية لكن كان يتكلم عن الخدمة العامة في الكنيسة بشكل أوسع من مفهوم خدمة الشماس، وبالتالي هو لا يتحدث عن وظيفة كنسية، ولكنه يتحدث عن كل من لديه موهبة خدمة يمكن أن يخدم بها أو يشارك بها في خدمة الكنيسة».

وبالتالي فالشمامسة هم جزء من هؤلاء الذين لديهم خدمة يقومون بها لبناء الكنيسة، ولكن الشمامسة جزء من كل وليسوا هم كل من لديهم هذه الموهبة، وبالتالي الموهبة هنا أوسع من الوظيفة الكنسية.

فللمسيحيين مواهب الخدمة والرحمة والعطاء ولكن قد لا يكون كل من لديه أيٌّ من هذه الأنواع هو الأنسب وهو المؤهَّل لوظيفة الشماس، وإلا لما أوجد شروطًا خاصة لهذه الخدمة بجانب الاستعداد للخدمة في ١ تيموثاوس ٣.

المؤمن لابد أن يستمر يخدم الرب بالموهبة التي أعطاها له الرب وبالطبع كل شماس لديه مواهبه ووزناته التي يخدم بها الكنيسة، وبالتالي فليست الخدمة فقط هي ما لدى الشماس لكن أيضًا الرحمة والمساعدة والعطاء والتدبير.

الفصل الثاني

شموسيَّة المرأة

«كَذلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ النِّسَاءُ ذَوَاتِ وَقَارٍ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، صَاحِيَاتٍ، أَمِينَاتٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١تي ٣: ١١).

ويكتب بولس في رسالته إلى الكنيسة في رومية: «أُوصِي إِلَيْكُمْ بِأُخْتِنَا فِيبِي، الَّتِي هِيَ خَادِمَةُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي كَنْخَرِيَا» (رو ١٦: ١). ويستخدم لوقا البشير نفس الكلمة اليونانية «دياكونيو» في قوله عن «وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ، وَيُونَا امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ، وَسُوسَنَّةُ، وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ» (لو ٨: ٢ و٣).

ليس الأمر هنا المجادلة بأحقية المرأة في رسامتها شماسًا لأن هذا الأمر قد أُقر قديمًا عندما سجل الكتاب عن الشمامسة النساء، فقد كانت هناك نساء مشغولات بالأعمال الخيرية وكانت هناك مهام خاصة بالشماسات النساء مثل الزيارة والافتقاد وإرشاد الفتيات اللواتي يقبلن الإيمان المسيحي وأيضًا الأمور الخاصة بمعموديتهن والمشورة التي تُقدَّم لهن وعندما يتكلم بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس في ١ تيموثاوس ٣ يضع توصيفًا خاصًّا بالنساء اللواتي يقمن بهذه الخدمة بالرغم من أن البعض اعتقد أن هذه الإشارة خاصة بمواصفات النساء

بشكل عام، والبعض الآخر اعتقد أن هذه المواصفات خاصة بزوجات الشمامسة ولكن القديس يوحنا الذهبي الفم، وفي معرض تفسيره لرسالة رومية (عظة٣٠) نراه يمتدح سيرة فيبي ويدعو الرجال والنساء أن يحذوا حذوها ويقتدوا بأخلاقها. ويقول في معرض تفسيره لـلرسالة الأولى لتيموثاوس٣: ١١: «ولتكن النساء كذلك من أهل الصلاح، غير نمّامات، متقشفات أمينات في كل شيء. وعلى الشمامسة ألا يكونوا متزوجين غير مرة واحدة، وأن يحسنوا رعاية أبنائهم وبيعتهم، فإن الذين يحسنون الخدمة ينالون منزلة رفيعة وجرأة عظيمة في الإيمان بالمسيح يسوع». على أن هذه تشير ليس إلى النساء وحسب، بل إلى الشماسات أيضًا، فيقول: «يقول البعض إن هذا النص قيل في النساء عمومًا، لكن هذا غير صحيح، إذًا لماذا يُدخل الرسول أي شيء عن النساء في موضوعه؟ إنه يتكلم عن اللواتي هن في رتبة الشماسات وذلك لأن هذه الرتبة ضرورية ونافعة ومكرمة» ويتفق معه في الرأي المفسر السرياني بشير بن سري حيث الكتابات القديمة التي تعود إلى القرون الأولى ويتفق معهم وليم باركلي ودارربي وكينيث بيللي.

يذكر جون كالفن في تفسير هذا الجزء أن الكلمة المترجمة «كذلك»، «نفس الطريقة» تبين رابطة وثيقة بين النساء والشمامسة وهو بذلك يدعم الاعتماد بوجود فئة جديدة تشابه نظام الشمامسة الرجال الذي سبق ذكرها. وأيضًا دونالد جوثري في تفسيره للرسائل الرعوية يؤيد هذا التفسير ويكتب عن ثلاث فئات من الخدام وهم الأساقفة والشمامسة والشماسات، وكذلك الأب بولس الفغالي يؤيد أن بولس يتحدث عن الشماسات قائلًا «النساء (غينايكس): هنّ نساء من أفسس. بعض الشرّاح رأى فيهنّ نساء الشمامسة. يرافقن أزواجهنّ في الزيارات الرعائيّة، ويتحلّين بذات الصفات. ولكن للشمّاس امرأة واحدة. فلماذا صيغة الجمع هنا لهذا اعتبر الآباء اليونان (تيودورس...) وغيرهم أننا أمام شمّاسات تجاه شمامسة».

وأيضًا يضيف Daniel B. Wallace في مقالته بعنوان هل يمكن أن تكون المرأة شماسًا؟ إن هناك عدة أسباب أخرى تؤيد أن بولس كان يقصد بالمواصفات التي جاءت على المرأة في

١تيموثاوس ٣: ١١ أنها كانت تخص الشمامسة النساء وهي:

١- الكلام عنهن يأتي في وسط كلامه من مؤهلات الشماس فما قبله وما بعده يتحدث عن مواصفات الشمامسة.

٢- بولس تحدث عن زوجات الشمامسة زوج امرأة واحدة وان كان يريد أن يضع مواصفات للزوجة كان أوردها بعد هذه العبارة مباشرةً.

٣- إن كان يقصد مواصفات لزوجات الشمامسة فلماذا لم يذكر مواصفات زوجات الأساقفة في معرض حديثه عن مواصفات الأسقف؟

٤- المؤهلات المذكورة عن النساء هي استكمال للمؤهلات التي ذُكرت عن الرجل وإلا فهل يصح لزوجات الشمامسة أن يسكرون بالخمر وأن يطمعن في الربح القبيح خلافًا لم تم عليه التأكيد في الكلام عن الشمامسة ؟؟!.

٥- المخطوطات الأصلية لم تقسم النص إلى إصحاحات وأعداد، وفى الجزء الخاص بهذا الأمر فإنه يأتي في مقال واحد يعالج قضية الرجل والمرأة في الخدمة الكنيسة ولا يتحدث عن الصفات العادية للزوجة كما سبق ذكره في رسائل ووصايا أخرى.

يضيف كينيث بيلي سببًا آخر وهو أنه بتحليله للمواصفات التي وردت عن النساء في أصولها اليونانية فإنها تتطابق مع ما ورد عن الرجال، وهذا سوف نشير إليه فيما بعد.

وقد ورد في الرسالة إلى رومية ١٦: ١، ٢ «أوصي لكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم. لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا» وكلمة خادمة الكنيسة هي «دياكونون» وأيضًا كلمة مساعدة تشير إلى معنى مناصرة آخرين أو نصيرة ومدافعة ومحامية، وهي تحمل معنى المسئولية والقيادة.

وعند ذكر الكلمة التي تدل على خادمة «شماسة» في الكلمة ترد بصيغة المذكر وذلك لأن الكلمة كانت في الغالب تُستخدم لرتبة كنيسة رسمية، وأيضًا لأن كلمة شماسة «خادمة» في الأصل الآرامي اليهودي تعني «زانية» لذلك استُخدمت الكلمة في صيغة المذكّر للتعبير عن وظيفة المرأة كخادم وشماس وهذا ما يؤيده القس كينيث بيلي:

وكما يذكر الشماس بولس وهبه في كتاب «الشمامسة في الكنيسة» أن تاريخ الآباء وتاريخ الكنيسة غني باستخدام هذه الوظيفة للنساء، وقد لعبت الشمامسة دورًا مهمًّا على مر التاريخ، وقد مرت هذه الخدمة بتطورات هامة على مر تاريخ الكنيسة. وكانت في أغلب الأحيان مكملة لدور الشماس.

كذلك أيضًا تذكر الشماسة Sharon في مقالة عن الأساس الكتابي والتاريخي لشموسية المرأة أن وظيفة الشماسات كانت موجوده كوظيفة في الألف سنة الأولى من تاريخ الكنيسة ولكنها تضاءلت بعد ذلك إلى أن جاء جون كالفن وعصر الإصلاح وأعاد التنبير عليها وأعاد وجودها في إصلاحه للكنيسة وذلك حسب النموذج الكتابي لهذه الخدمة ونجح في تنظيم مجموعات من الشمامسة النساء في جنيف، وكانت تتكون بالأكثر من النساء الأرامل المسنات المستعدات لخدمة السيد.

المواصفات الخاصة بالشماسات:

أما عن المواصفات الخاصة بالشماسات فيقدم لنا بولس الرسول في ١ تيموثاوس ٣: ١١ المواصفات الخاصة بالشمامسة النساء بحسب ما رجحت الآراء وهي كالتالي:

١- «ذوات وقار»

ففي وسط المدن اليونانية بما لها من ثقافة وحياة لها طابع خاص - وخصوصًا للنساء- فقد كان على النساء المسيحيات أن يحافظن على احترامهن وانعزالهن عن الممارسات المتدنية، وكان

يجب عليهن أن يكن شخصيات جادة وجديرة باحترام وثقة الآخرين من خلال حياة واعية وقادرة على جذب الكرامة والتقدير والاحترام حيث يرجع أصل كلمة «وقار» إلى أنهن ذوات تقوى وقداسة وحياة متميزة وهي نفس الصفة التي وردت عن الرجال.

٢- «غير ثالبات»:

الكلمة في الأصل اليوناني تعني «لا يغتاب أو يذكر الآخرين بالسوء من غيابهم ولا يسيء لسمعة الآخرين» أي غير نمامات ومستخدمات أسر وخصوصيات البيوت لتكون وسيلة للتسلية والمشاركة مع الأخريات وهذا يرجع إلى طبيعة دورهن حيث معرفة احتياجات وخصوصيات الآخرين. وهذا يشير إلى قدرتهن على ضبط اللسان، وهنا تتشابه هذه الوصية مع كلامه للرجال أيضًا من اللسان.

٣- «صاحيات»:

معناها الابتعاد عن السكر، والوجود في حالة من التركيز والانتباه واليقظة وهي انضباط النفس والتحكم فيها ونراها أيضًا تتوازى مع وصيته للرجال بعدم إدمان الخمور.

٤- «أمينات في كل شيء»:

أي جديرات بالثقة إلى أبعد الحدود وهو نوع شديد من الانضباط في كل نواحي الحياة ولكنه ضروري جدًا لحساسية دورهن وهنا يضيف «كينيث بيلي» أنه بدراسته لكلمة أمينات وجد أن بولس يستخدم أصل الكلمة للتعبير مرات عن الأمانة ومرات عن الإيمان ويرى أن استخدامها للتعبير عن الإيمان في هذا الجزء هو الأقرب من السياق وبالتالي تترجم «يُظهِرن الإيمان في كل شيء».

شموسية المرأة في الكنائس المختلفة:

لم تكن ثمة فروق بين دور المرأة في القرون الأولى؛ حيث إنه كانت عقيدة الكنيسة تجاه

المرأة متحدة وكان هناك اعتراف جماعي بأن الشمامسة هي موهبة روحية، ولكن كما يقول «الأب جان كوربون» خلال القرون الخمسة عشر التالية حدثت تطورات كثيرة وهناك بعض العناصر التي أثرت على تطور خدمة الشماسات في الكنائس، فبعد أن كان فكر الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية متقاربًا جدًّا تجاه هذه الخدمة، تباعدت الأفكار مع الوقت وحدث تطورات أدت إلى أن الكنائس المحلية تركت خدمة الشماسات لأسباب اجتماعية وثقافية حيث دخول عقليات جديدة للخدمة أثرت فكريًا على مكانة المرأة؛ حيث إن الكثير من الأفكار أدت إلى تهاوى وضع المرأة أمام الرجل وصار كل شيء في أيدي الرجال.

أ- شموسية المرأة في الكنيسة الأرثوذكسية

في الكنيسة الأولى كانت الشماسات يساعدن الرسل في بعض أمور الخدمة، وقد اشترطت الكنيسة أن تكون الشماسة عذراء أو أرملة لرجل واحد، وقد بلغت الستين، ومن أمثلة هؤلاء الشمامسة فيبي خادمة كنيسة كنخزيا.

الرأي الأرثوذكسي يقول بأنه إذا قبلنا بشرعية المرأة الشماسة، فهل نقول إن المرأة الشماسة ستصبح كاهنة فيما بعد؟ إن الكلام عن شموسية المرأة لا ينسحب على إمكانية دخولها سلك الكهنوت، لأن الأمرين مختلفان اختلافًا جذريًّا.

ويتفق اللاهوتيون الأرثوذكس أن الفارق كبير بين الشموسية الأنثوية والكهنوت، كذلك فإن الجميع متفقون أن الشماس والشماسة لا يقيمان الذبيحة، ولا يباركان الناس، وبرهان ذلك ترتيب جناز الشماس هو ما يجري على كافة العلمانيين. من هذه الزاوية فإن وجود الشماسة ليس حافزًا على التفكير بإمكانية ارتقائها إلى السدة الكهنوتية.

فضلًا عن ذلك يقول كتاب «الدساتير الرسولية»: «وقّر الشماسة ولا تدعها تفعل شيئًا بدون الشماس. كذلك لا تدع أية امرأة تتوجه إلى الشماس، وإلى الأسقف بدون الشماسة» ويذكر الكتاب نفسه في موضع آخر: «على الشماسات أن يوزّعن الإحسان على الأرامل...»

وأيضًا: «دع الشماسات يقفن على مداخل الكنائس وذلك لتنظيم جلوس النساء في الكنيسة» ونراه يمنع الشماسة من القيام بمهمة الكاهن، لأن مثل هذا العمل هو شأن الوثنيين. ويذكر في موضع آخر أن الشماس نفسه لا يحق له أن يعمِّد ويبارك، وأن عمل الشماسة يقتصر على حراسة الأبواب، ومساعدة الكهنة في تعميد النساء حفاظًا على الآداب العامة.

ويقول الأب منيف حمصي في مقالته عن شموسية المرأة «عندما نطالع أعمال مجمع خلقيدونية، لا سيما القانون (١٥)، نجده يقول ما يلي: «لا تنل امرأة وضع اليد كشماسة وهي دون الأربعين، وهذا يكون بعد إجراء فحص دقيق. أما إذا احتقرت نعمة الله بعد حصولها على وضع اليد عليها... فسلَّمت نفسها للزواج، فلتتبتل هي والرجل الذي اتحد بها» وبالتالي تم التعديل من «٦٠» إلى «٤٠». وإذا طالعنا القانون (١٢) من مجمع قرطاجة الرابع، فإننا نجد فيه ذكرًا لوظائف الشماسة، فلنسمع: «إن الأرامل والنساء المكرسات اللواتي انتُقين للمساعدة في معمودية النساء، يجب تثقيفهن في عملهن كي يكنّ قادرات على تعليم النساء الغبيات والريفيات بكفاءة وصواب كيف يُجبن أثناء المعمودية، على الأسئلة المطروحة عليهن، وكيف يعشن بعد أن يكن قد اعتمدن».

والشماسة لا توضع عليها اليد بل يقيمها الأسقف بعد بخور باكر في القداس، فتقف أمام الهيكل ويتلو عليها صلاة وردت في قوانين الرسل.

وعملها هو معاونة الكاهن في عماد النساء، وحفظ النظام في أماكن جلوس النساء، وافتقاد الشابات والسيدات، وخدمة مدارس الأحد وحضانة الكنيسة، وخدمة الشابات والنساء في الاجتماعات.

هذا وقد اختفت خدمة الشماسات المكرسات في الكنيسة منذ القرن ١٣ م، ومن خلال مقاربة التاريخ المسيحي نجد أن هناك شكلًا واحدًا فقط اقترنت به خدمة النساء في الكنيسة، أعني به الشموسية. طبعًا في الوقت نفسه، لا نعرف المرأة من الوجهة الأرثوذكسية إلا أمًّا

وراهبة. وقد أعاد قداسة البابا شنودة الثالث البطريرك ال١١٧ خدمة النساء في الكنيسة أي شموسية النساء مرة أخرى، فقد قام قداسة البابا شنودة الثالث بتكريس ٢٧ شماسة لكنائس القاهرة (يونيو ١٩٨١م) خمس منهن متبتلات، والباقيات أرامل وثلاث فوق الأربعين، والبعض فوق الخمسين والبعض فوق الستين سنة. وقد روعي في الشماسات أن لا تقل سنهن عن ٤٠ سنة وأن يكون لها خدمة سابقة وأن تزكيها كنيستها للخدمة فيها وأن تكون متفرغة على قدر الإمكان. ومنح قداسته الشماسات أسماء جديدة من أسماء القديسات ما عدا من كانت لهن أسماء مسيحية قبطية، وهو أول بابا يعيد طقس رسامة الشماسات ويضع طقسًا خاصًّا لإقامة رئيسات الأديرة.

ب – شموسية المرأة في الكنيسة الكاثوليكية

أول من حاول إحياء فكرة الشموسية للنساء هو القديس مار منصور في القرن الخامس والسادس عشر، ولكن بسبب ضغوط اجتماعية وثقافية تحورت الفكرة إلى فكرة الرهبانية للسيدات حتى تقبل خدمتهن من الكنيسة. وبالتدريج اتسع المجال أمام خدمات الرهبنة النسائية وصارت لهن شهادة وخدمة واسعة وممتدة في أعمال المحبة والخدمة وترك أمر العبادة للرجال.

ولقد حدث تطور كبير بعد المجمع الفاتيكاني الثاني بحسب رأي الأب «جون كوربون» فقد انفتحت أبواب جديدة أمام المرأة لخدمات متنوعة وبدأت بعض النساء يمارسن خدمات ليتروجية ولكن بشكل محلي وخاص خاضع للظروف الاجتماعية في كل كنيسة. وهذه الخدمات تتم تحت إشراف أسقف أو مطران الكنيسة المحلية ولكن لم تتم رسامتهن أو وضع الأيادي عليهن بعد، وهناك محاولات جادة ومجتهدة في الفترة الأخيرة لإنعاش هذا الدور في الكنيسة الكاثوليكية عامة.

ويجاهر الأب جون كوربون بأننا في الكنائس الكاثوليكية نحتاج إلى تطهير العقليات

القديمة لوجود عدة التباسات حول تلك المشكلة لتحريرها من الخلط ما بين ما هو ديني لاهوتي وما هو دنيوي غير مسيحي يعيق التقدم في هذه الخدمة.

ج- شموسية المرأة في الكنيسة الإنجيلية

التعليم الإنجيلي لا يفرق بين وظيفة الشماس ووظيفة الشماسة من حيث المبدأ، وحتى من جهة المواصفات المؤهلة لهذه الخدمة، فهما معًا - رجل وامرأة - خدام السيد، والتفريق يمكن أن يكون فقط تنظيميًّا بحسب ما تستوجبه بعض المهام الكنسية التي يمكن أن يكون التصنيف فيها بناء على قدره وكفاءة كل واحد سواء رجل أو امرأه لأداء هذا الدور. فلاهوت الكنيسة الإنجيلية لا يفرق بين الرجل والمرأة في الوظائف الكنيسة ولا يمانع بل يشجع على رسامة الشماسات بل والشيخات والقسيسات، لأنه منذ البدء ليست هناك أفضليه أو تمييز أو درجة لجنس على آخر بل دعوة الله ومواهب الروح القدس للرجل وللمرأة أيضًا، وبالتالي فمن تتقدم لخدمة الشموسية هي من دُعيت لخدمة السيد لتكريس كل أو بعض الوقت للمعاونة في الخدمة الكنيسة في مجالاتها المتنوعة.

وهذا ما أقره دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر في المادة ١٧٢ – انتخاب شماسات:

«إن النساء قد ينتخبن لوظيفة شماس ولكن ليس لهن أن يكوِّنَّ نظامًا خاصًا أو هيئة قائمة بذاتها».

ونرى المرأة شماسًا في معظم الكنائس الإنجيلية بالريف والحضر، قرى ومدن دون تفريق ولكن ما تحتاج إليه هذه الخدمة إعادة تقييم وتوظيف وتوجيه لاستيعاب الطاقة النسائية الهائلة التي تحتوي عليها كنائسنا والاستفادة من كل الوزنات والمواهب والطاقة التي تمثل نصف الكنيسة كما هي نصف المجتمع.

الفصل الثالث

الشموسيَّة في تاريخ الفكر المسيحي وفي الكنائس التقليدية

في هذا الفصل نخرج من التعاليم الكتابية عن الشموسية إلى التاريخ والواقع الذي عاشته هذه الخدمة حيث التطبيق والممارسة. ونترك الفرصة للقارئ حتى يرى هل كانت الممارسة العملية لهذه الخدمة على مر تاريخ الفكر المسيحي كما عاشته الكنيسة، وأيضًا كيف تم تناول هذه الخدمة في الكنائس التقليدية؛ هل كانت قريبة من المبادئ الكتابية المعلنة في الكلمة؟

أولاً: خدمة الشموسية في الكنيسة – نظرة تاريخية

١- في الكنيسة الأولى:

من خلال ما جاء في الكلمة المقدسة في سفر الأعمال ورسالة فيلبى ١:١ نرى أن الشمامسة كانوا جنبًا إلى جنب مع الأساقفة والشيوخ، وكانت خدمتهم من البداية كمساعدين لقادة الكنيسة. وهذا كان دورًا واضحًا للشمامسة في القرن الثاني حيث كانوا متواجدين في الأدوار الكنسية المحتاجة لخدمة ويخدمون احتياجات الفقراء والمساعدة في المعمودية والعشاء الرباني ومهام خدمية أخرى بحسب الاحتياج والتكليف. كتب «أنستاسيوس د. سالاباتاس» في مقالته عن «الشموسية في رسائل القديس أغناطيوس الأنطاكي» تعريب «الأب أنطوان ملكي» «إغناطيوس أسقف أنطاكية، شخصية مهمة في الكنيسة المسيحية في عصورها الأولى

وكان الأسقف الثاني على أنطاكية وبدأت أسقفيته حوالى العام ٧٠ بعد الميلاد. يجد الدارس المعاصر في رسائله تفاصيل كثيرة تتعلّق بواقع حياة الكنيسة في زمانه. من أهم المواضيع التي تضمنها الفكر المكتوب لهذا القديس هي السلطة الكنسية، وترد الشموسية في نصوص هذا القديس دون أن تكون موضوعه المركزي. ويرى أن للشماس ولخدمة الشموسية قيمة كبيرة لكنيسة أنطاكية وغيرها. وهو، كأسقف أنطاكية، متعاون بقوة مع شمامسته ليؤمّن أفضل رعاية ممكنة لرعيته. وبحسب كتاباته، يظهر أنه مرتبط روحيًا بالشمامسة بالطريقة نفسها التي يرتبط بها الآب بيسوع المسيح. وهكذا، يعتبر الشماس صورة للمسيح الذي كان بحسب العهد الجديد أول شماس للكنيسة، ويتبع الشماس دائمًا أوامر أسقفه كونه مسؤولاً أمامه. لكن لا توجد أي إشارة واضحة في نصوص القديس إغناطيوس إلى وظائف الشماس الفعلية الرعائية والليتورجية أو غيرها. ختامًا، لا توجد أي إشارة مباشرة إلى الشماسات».

٢- في القرون الخمسة التالية

يقول «Fred A. Grissom» أصبح الشمامسة وكلاء وخدام الإحسان والبر الذي يُقدم من خلال الكنيسة إلى الأرامل والأيتام وكانوا يقومون بزيارة المرضى وكانوا يزورون المسجونين وأصبحوا يساعدون في تدريب المتحولين إلى المسيحية والاعتناء بأعضاء الكنيسة وكانوا يعطون تقريرًا للأسقف عن تفاصيل أمور الرعية. وقد قاموا بتنفيذ التوجيهات الإدارية التي كانت تُعطى لهم من الأسقف وكانوا بتوجيه من الأسقف أو الشيخ المسئول يقومون بخدمة المعمودية والعشاء الرباني.

٣ - خلال العصور الوسطى:

خلال تلك العصور لم تعد خدمة الشموسية تضاهي النموذج الذي يقدمه العهد الجديد أو حتى الأسلوب والعمل الذي كانت تتم به الخدمة في القرون الأولى، فقد تدخلت الرغبات بشكل صريح في رسامة الشماس وأصبح الشماس يقدم على هذه الخدمة وهو ينظر إلى

أن يتدرج إلى خدمة كاهن، فصارت الشموسية خطوة في طريق الكهنوت. وقد تطور اتجاه الشماس ورئيس الشمامسة إلى دور كنسي أكثر نفوذًا في الكنيسة وتولي مسئولية إدارة الكنيسة وأيضًا الاهتمام بالفقراء. وعندما شعر الأساقفة بتعاظم وتغول دور الشمامسة لجأوا إلى استبعادهم بل ومحاولة تنحيتهم، وتم ذلك بطرق متنوعة وصلت في طريقة منها إلى رسامة رؤساء الشمامسة ليكونوا كهنة إلى الدرجة التي قال عنها «جيروم» إن رسامة رئيس الشمامسة كاهنًا بمثابة طريقة لاستبعاده وهي طريقة لم تكن مرضية له حيث إنه برسامته كاهنًا كان يشعر أنه فقد نفوذه كرئيس شمامسة له مكانة أكبر وتأثير متسع، يقال أيضًا إن «البابا جريجوري الكبير» وبخ أسقفًا لأنه رسم رئيس الشمامسة كهنة.

ويقول «Timothy George» في كتابه «لاهوت المصلحين» إنه من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر تضخمت قوة وسلطة رئيس الشمامسة بشدة وأصبح الأساقفة يقومون برسامتهم كهنة لتكون موازية لسلطان رؤساء الشمامسة ولكن تحت قيادة الأسقف ويمكن التحكم في هؤلاء الكهنة، وأيضًا كان الأساقفة يرسمون نواب ووكلاء رؤساء الشمامسة كهنة ويديرون الأمور من خلالهم.

٤- خلال عصر الإصلاح وما بعده:

خلال عصر الإصلاح والعودة إلى الكتاب المقدس ليكون هو صاحب السلطة على الكنيسة وعلى كل من فيها سواء قادة أو تابعين على اختلاف وظائفهم، كانت هناك محاولات جادة للعودة إلى الدور الكتابي لخدمة الشمامسة ومحاولة تنقية هذه الخدمة من كل ما علق بها ولا يتوافق مع الكتاب المقدس.

يقول «Derek Gentle» في دراسة رائعة عن دور الشمامسة خلال تاريخ الكنيسة إن «مارتن لوثر» أوضح أن دور وخدمة الشماس ليس أن يقرأ الإنجيل أو الرسالة كما هو الحال اليوم لكن هو ذراع الكنيسة الممتد إلى الفقراء والمحتاجين وأيضًا «جون كالفن» قال إن

الشمامسة قد خصصتهم الكنيسة لهذه الخدمة وهي توزيع الصدقات والاهتمام بالفقراء والخدمة كوكلاء عن الصندوق العام المخصص لخدمة المحتاجين.

وبالتالي فقد أعاد «جون كالفن» الاعتبار والوقار لخدمة الشماس واعتادوا على أنهم يقدمون النصيحة والتعزية، وبالتدريج أصبح عمل الشمامسة في جنيف بحسب توصيف خاص هم من يمكن أن تطلق عليهم اليوم خدام العمل الاجتماعي، جنبًا إلى جنب مع خدام الرعاية. وأيضًا رأى «جون سميث» أن الدور الأساسي لخدمة الشماس هو تحمل مسئولية خدمة الإحسان الكنيسة. وفي سنة ١٦٥٤ قدم توماس كويلر تصويرًا لعمل الشمامسة كخدام موائد وخصوصًا خدمة الفقراء.

ويضيف د.ق ثروت قادس في كتاب الدياكونية إنه مع أوائل القرن التاسع عشر جاء (جون وسيلي) واعظًا للإنجيل ونبيًّا للعدالة الاجتماعية، ودعا لإلغاء تجارة الرقيق والاهتمام بالأحياء الفقيرة. ومن بعده جاء (توماس مالثوس)، والاقتصادي (دافيد ريتشارد)، والقسّ الاسكتلنديّ (توماس شالمرز) الذي طالب بانخراط الكنيسة في العمل الاجتماعي، وقد أسهمت هذه الحركة في تغيير أخلاقيات الجماهير، كما شهد هذا القرن توسّعًا ضخمًا للإرساليات المسيحيّة التي لم يقتصر عملها على الكرازة فحسب، بل كان لها بعد اجتماعيّ مميّز.

ثانيًا: الشموسية في الكنائس التقليدية

١- الشماس في الكنيسة الأرثوذكسية

تنحصر **وظيفة** الشماس في معاونة القس أو الأسقف في إتمام الخدمات والطقوس الدينية الكنيسة. يخدم المذبح وينذر الشعب ويخدم الفقراء خارج المذبح. وهو عين **الكاهن والأسقف.** إذا كان بتولًا وأخذ وضع اليد، لا **يتزوج** فيكون شماسًا مكرسًا.

يقول الأنبا متاؤس، أسقف دير السريان في كتاب الشمامسة والشماسات: «درجة

الشموسية في الكنيسة درجة هامة تمثل أحد أضلاع المثلث الكهنوتي وهي درجة خدمة وجهاد روحي وهي تتمثل في خمس درجات ترتيبها تصاعدي (الإبصالتس - الأغنسطس - الإيبوذياكون - الدياكون – الأرشيدياكون) وكل يخدم ويشارك بحسب رتبته».

درجات الشموسية الخمس:

١- الإبصالتس:

تعني المرتل وهي تقابل في القبطية (ابصالموس) وهي تعني مزمور أو ترتيلة. اعتادت الكنيسة أن ترسم الأطفال الصغار في هذه الرتبة، تبعًا لقول المزمور «من أفواه الأطفال والرضعان هيأت سُبحًا» مز ٨: ٢ وعمله واضح وهو حفظ الألحان والترتيل بها. لا توضع عليه اليد.

٢- الأغنسطس:

هي كلمة يونانية تعني قارئ فصول الرسائل. ودوره تلاوة القراءات اليومية الكنسية والوعظ أو التعليم بإذن من الأسقف أو الكاهن. وتلاوة أسماء الآباء البطاركة بعد مجمع القداس. التسبيح وترديد الألحان.

وهو لا توضع عليه اليد ويمكن له أن يتزوج بعد أخذ الرتب، وإن ماتت زوجته له أن يتزوج ثانية.

٣- الإيبوذياكون:

كلمة يونانية تعني مساعد شماس. ودوره تنظيم الجلوس في الكنيسة وحراسة أبوابها من الهراطقة والحيوانات. وإيقاد سرج الكنيسة وتعمير المجامر (الشورية) وحفظ كتب الكنيسة وثياب الكهنة وتجفيف الأواني المقدسة بلفافة. ويضاف إلى هذه الوظائف وظائف الرتب السابقة حين كان مرتلًا أو قارئًا. لا توضع عليه اليد ولا يمكن له أن يتزوج بعد أخذ الرتبة دون أن يفقدها.

٤- الدياكون

كلمة يونانية يقابلها (شماس) في السريانية، وفي القبطية (ريف شمسي) وتعني خادمًا. ودوره هو تلاوة مردات الهيكل وقراءة إنجيل القداس وتنظيف الهيكل وترتيب المذبح وكتابة أسماء مُقدمي القرابين والعطايا للكاهن ليذكرهم بعد أوشية القرابين الوعظ والتعليم بإذن من الأب الأسقف أو الكاهن. ويُسمح له أن يناول الشعب من الكأس بإذن من الكاهن وفي حالة الضرورة. ومعاونة الكاهن في الافتقاد وخدمة الأرامل والمحتاجين.

وهو يجب أن يكون متفرغًا للخدمة مثل الأسقف أو الكاهن، إذ جاء في قوانين الرسل: «لا يشتغل أسقف أو قسيس أو شماس بأشغال هذا العالم، وإذا اشتغل فليقطع» (قوانين الرسل ك٢ ق٥ من ٥٦).

وقد يلبس أحيانًا خارج المذبح ملابس سوداء كالقسيس، وقد يلبس نوعًا من العمامة أو الطاقية السوداء على رأسه، ويطلق لحيته وإذا تمت رسامته قبل الزواج لا يتزوج. وإذا ماتت زوجته بعد سيامته يظل بلا زواج، أما إذا تزوج يفقد رتبته.

٥- الأرشيدياكون:

تعني رئيس شمامسة. وهو يرأس جميع الرتب الشماسية ويدبر أمورها، ويكون مثل أذن وعين للأسقف أو الكاهن وينطبق عليه شروط الدياكون.

يقول الأستاذ كمال زاخر: «إن النسق القبطي الأرثوذكسي يعطي لدرجة الشموسية صلاحيات عديدة في هذا المجال، شهدتها عصور الكنيسة الأولى، وإن كانت تراجعت في القرون الأخيرة واختُزلت في المهام العبادية الطقسية، وفقدت معها الكنيسة دورًا مجتمعيًّا تنمويًّا كان يمكن أن يكون له تداعياته» ويضيف: «أن الكنيسة بحاجة إلى تفعيل نسق التكامل بين الإكليروس والعلمانيين تأكيدًا لعقيدة الجسد الواحد، ولما كانت الدياكونية هي حلقة الربط

بين كليهما، فيكون تفعيل دورها بشكل مؤسسي أمرًا هامًّا»

ب - الشماس في الكنيسة الكاثوليكية

تعليم الكنيسة الكاثوليكية يقول: «إن الشمامسة يشتركون بطريقة خاصة في رسالة وفي نعمة المسيح. إن سرّ الدرجة يطبع فيهم وسمًا لا يمكن لشيء أن يزيله يجعله على صورة المسيح الذي جعل نفسه خادمًا شمّاسًا، أي خادمًا للجميع»، الشمّاس هو مساعد للكاهن العامل بشخص المسيح الرأس، ونلاحظ أن الرتب في نظام الشموسية الكاثوليكية تتشابه مع الأرثوذوكسية.

لكن لعصور طويلة عانت هذه الدرجة من إهمال ومن تقليل في الأهميّة بسبب:

من الناحية الأسرارية صار يُنظر إلى هذه الدرجة الكهنوتية على أنّها مرتبطة بالكهنوت ومتّجهة إليه، وبالتالي انحرفت عن مسارها القويم، فبدلًا من أن تكون أدنى الدرجات الكهنوتية الكبرى، صارت تعني نصف درجة كهنوت، من الناحية الرعوية: بما أن الشمّاس هو معاون للأسقف وللكاهن، صار يُنظر إلى هذه الدرجة على أنها ضرورية فقط في غياب الكاهن، ومن الناحية الليتورجية فإن تعليم الكنيسة المحلّية ليس واضحًا حول دور الشمّاس، بل يُشار إلى اعتماد تعاليم تعود إلى القرون الماضية وهي على أهميّتها لا تواكب التطوّر اللاهوتي والزخم الذي أعطاه المجمع الفاتيكاني الثاني لدور الشمّاس، ولا التجديد الليتورجي الذي يحثّ عليه المجمع عينه ومن الناحية الرهبانية رتبته هي مجرّد عتبة للكهنوت وجسر عبور إلى العمل الرسولي. وجوده قد يخلق حيرة في موقعه الرهباني من حيث التنشئة: أيخضع لتنشئة الإخوة أم يلقى تنشئة خاصة تساعده على عيش درجاته الكهنوتية؟ من حيث القوانين: لمن يخضع في السلطة الديرية؟ ومن حيث حياة الرهبانية ككل: أينتخب أم لا مثلًا؟

هناك محطات هامة لابد من التوقف عندها في تحديد خدمة الشمامسة في الكنيسة الكاثوليكية:

- في العام ١٢٨٠ منع مجمع بواتييه الشمامسة من محاولة إعطاء الحلّة أي «إعطاء الحلّ من الخطايا». إن اللجنة اللاهوتية العالمية أوضحت حقيقة هذه الممارسة في القرن الرابع موضحة أن مجمع ألفيرا الإسباني قد أعطى الشمامسة الحقّ بإعطاء الحلّة من الخطايا في الحالات الطارئة.
- المجمع التريدنتيني ١٥٤٥م. لم يتكلّم بشكل وافٍ ومفصّل عن الشمّاسية. والوظيفة التي كان يقوم بها الشمامسة سابقًا، حتى التدبيرية منها، قد تكلّم عنها المجمع في سياق وظائف الكاهن، وهذا الأمر مردّه إلى البدء في النظر إلى الشمّاسية كمرحلة عبور إلى الكهنوت. حتى من الناحية العقائدية وضع المجمع التريدنتيني الوظيفة الشمّاسية مجال شكّ بسبب إبهام التحديد العقائدي. لقد حدّد المجمع الدرجات المقدّسة كأسرار، إنما لم يوضح إن كان البعد الأسراري يطال أيضًا الدرجة الشمّاسية (وهذا الجدل لا يزال قائمًا حتى اليوم).
- المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني ١٩٦٥م: ما لم يوضحه المجمع التريدنتيني قد أوضحه الفاتيكاني الثاني إنما بطريقة لا تقطع السبيل أمام الجدل اللاهوتي حول حقيقة الشمّاس السرّية: فقد استعمل بشكل واضح عبارة «النعمة الأسرارية» في الدستور العقائدي، إنما هذا لا يعني أن الشموسية، من الناحية اللاهوتية، قد توضح معناه بعمقه. فقول نور الأمم (وهو الدستور العقائدي - المجمع الفاتيكاني الثاني): «ليس للكهنوت إنما للخدمة» يترك الباب مشرعًا أمام تفسيرات متعدّدة إزاء تساؤلات كثيرة: إن لم يكن للكهنوت فما علاقة الشمّاسية بسرّ الدرجة الكهنوتية؟ وما الفرق بين خدمة الشمّاس من حيث حامل سرّ وخدمة العلمانيين المعمّدين من حيث إنهم منتمون إلى الكهنوت الملوكي؟ هل أن وظيفته الشمّاسية يقوم بها انطلاقًا من الوسم السري الذي لا يُمحى الذي ناله بواسطة وضع اليد (وبالتالي نابع عن كهنوت الخدمة) أم بسبب تفويض من الكاهن أو الأسقف

(وهو ما يمكن إسناده إلى كلّ معمّد، وبالتالي ناتج عن الكهنوت العام)؟

- يرد في «نور الأمم» أن الشمّاسية تدخل في الهرمية الكنسية كأدنى الدرجات، وضع اليد للخدمة وليس للكهنوت، نالوا نعمة السّر، والخدمة التي يقومون بها: خدمة الليتورجيا، خدمة الوعظ خدمة المحبة.
- وظائف الشموسية: إعطاء سرّ العماد احتفاليًّا، الاهتمام بحفظ وتوزيع الإفخارستيا، حضور ومباركة رتبة الزواج باسم الكنيسة، قراءة الكتب المقدسة على المؤمنين، تعليم ووعظ الشعب، الترؤس في عبادات وصلوات المؤمنين، القيام بأشباه الأسرار. وقد أعطى الفاتيكاني الثاني أيضًا الإمكانية للعلمانيين (انطلاقًا من اشتراكهم بالكهنوت العام) للقيام ببعضها في حالات معيّنة طالبًا أن تكون تلك المحصورة بالأسقف أو بالكاهن قليلة جدًّا، مثل أن يرأس رتبة الجنازة والدفن.

إن وظائف الشمّاس إذًا ليست وظائف كهنوتية، فما من شيء يقوم به لا يمكن لأي معمّد آخر القيام به في الحالات غير الاعتيادية (معمودية، توزيع القربان، ترؤس صلوات المؤمنين والقيام بأشباه الأسرار)، كما أن أكثر هذه الوظائف خارج النطاق الأسراري (مثل رتبة الدفن، فلا يمكن إعطاء سرّ لميت) أو تكّمل تطبيقيًّا السرّ من ناحية الخدمة لا من ناحية الكهنوت (توزيع القربان). الوظائف ذات الطابع السرّي التي يقوم بها الشمّاس يقوم بها أي معمّد آخر في حالات الضرورة.

ما الفرق إذًا بين الشمّاس وسائر المعمّدين؟

الشمّاس من ناحية لا يملك الدرجة الكهنوتية، بقوة وضع اليد، وبالتالي ينتمي إلى ذوي الكهنوت العام، ومن ناحية أخرى، وعلى خلاف سائر المشتركين في الكهنوت العام، قد نال وضع اليد، دخل في جسم الكنيسة التدبيري وفي سلطتها الهرمية.

يقول البابا يوحنا بولس الثاني حول العلاقة بين كهنوت المؤمنين المعمّدين وكهنوت الخدمة: «كهنوت الخدمة الذي يشترك فيه، وبدرجات متفاوتة، الأساقفة والكهنة والشمامسة... الكهنوت ليس مؤسّسًا ليكون إلى جانب العلمانيين (بمعنى أنها مستقلّة عنهم) أو فوقهم. كهنوت الأساقفة والكهنة، وخدمة الشمامسة، هي من أجل العلمانيين، ولهذا السبب تحديدًا تملك طابع الخدمة».

الشمّاس ينال بواسطة وضع اليد نعمة خاصة ووسمًا، يختلف عن كهنوت المعمّدين «بطريقة خاصة» يشترك عبرها برسالة وبنعمة المسيح، ويتصوّر على صورة المسيح الخادم.

إن التشديد على أهمية الشموسية «من قِبَل اللاهوتيين، وعلى ضوء القرارات المجمعية والبابوية هي للغايتين: أولًا، إن بعض الوظائف في خدمة المحبة التي يؤمّنها العلمانيون في خدمتهم التبشيرية في الكنيسة والمعطاة لهم بطريقة دائمة تضحي حسّية بصفة مُعترَف بها من خلال التكريس الرسمي. ثانيًا للمساعدة على حل مشكلة قلّة عدد الكهنة». وبالتالي فالهدف من الشمّاسية رعوي أكثر منه لاهوتي.

يبدو واضحًا أيضًا أن الدرجة الشمّاسية لا تزال سببًا لتساؤلات لاهوتية شتّى حول حقيقتها.

(هذه الأفكار مستخلصة من مقالة **للأب بيار نجم** والموسوعة الكاثوليكية).

الخدمة الاجتماعية في الكنيسة الأولى و الشمامسة السبعة

الفصل الأول

الكنيسة والخدمة العملية

يكتب الأستاذ كمال زاخر، وهو مفكر وكاتب مصري وناشط قبطي من أنصار التيار العلماني في مقالته عن خدمة الدياكونية «من الصور النمطية السائدة عند البعض عن المسيحية أنها ديانة منحصرة في البعد الروحي، والشخصي، وبالتالي لم تقترب من تنظيم العلاقات البينية على الأرض، وهي صورة تحتاج إلى مراجعة وضبط، فالقاعدة التي تتمحور حولها المسيحية هي (المصالحة) بين الله والإنسان ومن ثم المصالحة بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والطبيعة، وقبلهما المصالحة بين الإنسان ونفسه وكيف تتحقق المصالحة البينية دون أن يخرج المرء من حصار الأنا إلى رحابة قبول الآخر، ومد يد العون له في عوزه الروحي والمادي والنفسي، في قراءة جديدة لمعنى القرابة، تتجاوز المفاهيم الضيقة التي تحصرها في قرابة الدم والرحم والعرق والدين».

عندما نفكر في دور الكنيسة في الخدمة الاجتماعية مثل إعانة المحتاجين والفاعلية في الأعمال الخيرية والسعي لخدمة الأفراد والعائلات وأعمال الرحمة نرى أن هذا الدور الاجتماعي كان على مر عصور اختيار الرب للجماعة الشاهدة سواء إسرائيل في القديم حيث كانت هناك تشريعات إلهية لأعمال الرحمة وإعانة المحتاجين والذين في ضيقة والمديونين

والمهمشين وخلافه، يقول «وليم باركلي» في تفسيره للرسالة الأولى لتيموثاوس إنه لم يتوفر هذا الإحساس العميق بالمسئولية نحو الأخ الفقير والأخت الفقيرة لأية دولة مثلما كان لدى اليهود. كان للمجمع نظام للتعامل مع هؤلاء الناس ومساعدتهم. لم يشجع اليهود إعطاء معونة فردية لأفراد بل فضلوا أن تتم هذه المعونات عن طريق المجتمع وخاصة المجمع. كان يذهب محصلان رسميان كل أسبوع إلى الأسواق والمنازل لجمع تبرعات مالية وعينية للفقراء والمحتاجين وكانت توزع بمعرفة لجنة. وكان فقراء المجتمع يلتمسون طعامًا كافيًا لمدة أسبوع بشرط عدم توافر طعام في منازلهم وكان يطلق على من يقوم بالمجمع المتحصل «Kuppah أو السلة أو Tamhui الصينية وورثت الكنيسة المسيحية هذه المنظمة الخيرية وحاولت تنفيذها عمليًّا من خلال خدام مخصصين لذلك.

وأيضًا نرى أن هذا يجب أن يكون توجهًا أصيلاً من توجهات الكنيسة المسيحية. فعلى الكنيسة أن تقرر اتخاذ وتبني اتجاه نحو العالم؛ إما اتجاه الهروب وأن تدير الكنيسة ظهرها للعالم، وأن تسد الكنيسة آذانها في مواجهة صراخ المحتاجين والمتألمين التي تطلب الرحمة والمعونة ونقسي قلوبنا فلا نشعر بالمجتمع من حولنا ونحاول الانخراط فقط في أعمال كرازية هدفها فقط أن ينال الإنسان الخلاص الذي يجعله ينتظر مستقبله في السماء دون اكتراث بهموم الحاضر وآلام الفقر والجهل والمرض التي يعاني منها مجتمعنا، أو تتبنى موقف الارتباط الذي فيه تتحرك قلوبنا بمحبة وحنان ورحمة وننظر إلى العالم من حولنا ونترجم محبة الله للعالم ليس فقط في وعظ وكرازة ولكن أيضًا في عمل اجتماعي واهتمام ورعاية وأعمال خدمة لهذا المجتمع وهذا يتطلب منا كما يقول ق.جون ستوت في كتابه «المسيحية والقضايا المعاصرة» فهم عقيدة الخلاص بمعناها الواسع وهي أن لا نفصل بين الخلاص والملكوت وبين المسيح المخلص والمسيح الرب وبين الإيمان والمحبة. وتوسيع عقيدة الكنيسة لكي تكون الكنيسة كما قال وليام تمبل هي الجمعية التعاونية الوحيدة التي توجد لمنفعة غير المشتركين بها وتوسيع

عقيدة الله فهو إله الطبيعة كما هو إله الدين والعقيدة وإله الخليقة كما أنه إله العهد وهو إله العدل كما هو إله التبرير وأيضًا توسيع عقيدة الإنسان فكلما سمت نظرتنا إلى قيمة البشر ازدادت رغبتنا في خدمتهم والتوسع في فهم عقيدة المسيح الذي أخلى نفسه من مجده الإلهي وتجسد ليخدم ويحمل أثقال الناس ويشاركهم آلامهم وخدم وسط المحتاجين والمرضى والحزانى والجياع والعاجزين.

إننا كمسيحيين أفرادًا وجماعات مدعوون لخدمة المجتمع من حولنا فكل منا مدعو ليكون شاهدًا وخادمًا في نفس الوقت فإن خدمة «الدياكونية» والشهادة توأمان لا ينفصلان ولابد أن نفتح عيوننا على المسئولية الكرازية والمسئولية الاجتماعية التي دُعينا ككنيسة لها.

يقول أيضًا د.ق. جون ستوت في نفس المرجع السابق إن كلمة «قداس» المستعملة في الكنائس التقليدية مأخوذة من آخر جملة في الطقس اللاتيني وهي تعنى «والآن يمكنكم الانصراف أي أن تخرجوا» فهي تعنى وتذكر بالمسئولية في الخروج إلى العالم الذي خلقه الله وإلى خليقته الذين على صورته وجاء المسيح إليهم وهذا هو مكاننا وميدان عملنا حيث يجب أن نحيا ونحب ونشهد ونتألم ونخدم ونموت لأجل المسيح».

لقد كانت فكرة اختيار الشمامسة في كنيسة أورشليم في بداية الكنيسة المسيحية هي إعلان مبكر للاهتمام الاجتماعي والعمل المجتمعي الذي يهدف إلى خدمة الإنسان ككل ورسامة هؤلاء الشمامسة كانت بمثابة إعطاء صبغة رسمية لهذا الاهتمام وتدعيم التوجه الذي تبنته الكنيسة الأولى في ذلك الوقت. وقد سارت الكنائس الأممية في نفس الدرب حيث إننا نرى بولس يوجه توجيهات خاصة بالشمامسة وخدمتهم بل وأسمائهم في مواقف مختلفة لكنائس أممية. ونرى الدور الاجتماعي للكنيسة قد بدأ في التجذر والفاعلية على مر تاريخ الكنيسة المسيحية.

وبمتابعتنا لتاريخ الكنيسة المسيحية نرى أن المسيحيين تحركوا في مجالات الخدمة

المتعددة والمتنوعة لخدمة الإنسان فبنوا المستشفيات والملاجئ والمدارس واهتموا بطبقات مثل المساجين والعمال والعبيد وأبطلوا تجارة الرقيق والاهتمام بالأقليات، وكان ذلك لأجل فهم العقيدة المسيحية عن أهمية الإنسان، فكل إنسان مهما كان، له قيمة في نظر الله وبالتالي في نظر إخوته في الإنسانية فخدمة الآخرين امتياز لنا جميعًا.

الفصل الثاني

فكرة الشموسيَّة
الأزمة والإبداع في الحل

هناك أزمات نجتاز فيها يكون كل أملنا هو أن نخرج منها بأقل قدر من الخسائر. نعرف أننا سنخسر لكن يتركز جهدنا على كيفية تقليل حجم الخسائر. ولكن هل يمكن أن تكون الأزمة فرصة لمزيد من النجاح فلا نفكر في الخسائر بل في المكاسب التي يمكن أن نجنيها من هذه الأزمة؟ الكلمة أزمة في الخلفية الصينية تعني فرصة للتغيير.

تلك هي الأزمة التي حدثت مع الكنيسة الأولى في بداية عهدها بالخدمة وهي من نوعيات المشاكل والأزمات الصعبة لأنها كانت مشكلة داخلية وتلمس جانبًا حساسًا حيث علاقات المؤمنين الجدد بعضهم ببعض وهو حدوث تذمر من قِبل أرامل اليونانيين حيث شعرن أنهن يُغفَل عنهن في الخدمة اليومية. وهناك عدة نقاط تشرح لنا خلفية المشكلة:

• كان هناك نوعان من اليهود: النوع الأول هم اليهود العبرانيون الذين عاشوا في أورشليم وكانوا يتكلمون اللغة الساميَّة وكانوا يعرفون بعض اليونانية لأن اليونانية في ذلك الوقت كانت لغة التخاطب في المجتمع الشرقي، أما اللغة الساميَّة فكانت اللغة الآرامية. النوع الآخر من اليهود هم اليونانيون وهم يهود الشتات والذين عاشوا في فلسطين وتجمعوا في أورشليم واستقروا فيها في ذلك الوقت وكانوا يعرفون قليلاً من اللغة الساميَّة ولكنهم يتعاملون

ويتخاطبون باللغة اليونانية التي يتقنونها جيدًا. وكانوا أكثر انفتاحًا من يهود أورشليم الذين رفضوا الانفتاح على اللغة أو الثقافات الأخرى، ولكن هذا لم يقلل من إحساس اليهود اليونانيين بيهوديتهم وانتمائهم وارتباطهم بالهيكل، ومن هؤلاء من تحول إلى المسيحية فأصبح هناك مسيحيون من أصل يوناني ومسيحيون من أصل عبراني.

- كانت هناك خدمة في كل مجمع يهودي وهي جمع التبرعات لغير القادرين وتوزيعها عليهم وكان يُعطى للفقراء والأرامل ما يكفى لإطعامهم لمدة أسبوع وتتكرر هذه العملية كل أسبوع وكانت تسمى خدمة «السلة» وأخذت الكنيسة هذا التقليد من المجمع لكي تهتم بالفقراء والأرامل من خلال التقدمات المادية والعينية التي تكفي لسداد حاجاتهم وكانت الكنيسة تقوم بخدمة توزيع الصدقات اليومية للأرامل وكانت هذه رسالة تعلنها الكنيسة أنها تضع ما تؤمن به عن المحبة والعطاء موضع التنفيذ العملي.
- كانت علاقة اليونانيين بالعبرانيين يميزها شيء من الحساسية الخاصة حيث إن اليونانيين يفتخرون ويحسون بالتفوق المدني الثقافي، فالأمر ليس مجرد لغة مختلفة لكنها مسألة ثقافة وعادات وطبائع وسلوكيات مختلفة، فالعبرانيون كانوا يفتخرون ويحسون بالتفوق الوطني الديني. وكان العبرانيون أيسر حالاً حيث إنهم كانوا أصحاب مهن وأراضٍ وبيوت بعكس اليونانيين الذين كانوا أفقر فهم نازحون من الشتات ومكثوا في أورشليم بعد قبولهم الرسالة المسيحية.
- يبدو أن القائمين على خدمة التوزيع في ذلك الوقت كانوا من العبرانيين ولذلك عندما ظهر تحيز - سواء كان مقصودًا أو غير مقصود في توزيع الصدقات اليومية - قدمت أرامل اليونانيين شكوى لليونانيين ضد العبرانيين ضد التجاهل الذي يحدث عند توزيع التقدمات العينية لهن. لذلك تم تصعيد المشكلة ووصلت إلى الرسل وبالتالي كانت أزمة

أمام الكنيسة تصدت لحلها. ومن الجدير بالملاحظة أنه تم اختيار الشمامسة السبعة الذين يغلب عليهم الطابع اليوناني، أي أنهم كانوا من المسيحيين ذوي الأصل اليهودي اليوناني للقيام بهذه الخدمة. وبالتالي نرى الكنيسة تعبر هذه الحواجز التي كانت تمثل عائقًا في علاقة العبرانيين باليونانيين كو ٣: ١١ «حَيثُ ليس يونانيٌّ ويَهوديٌّ، خِتانٌ وغُرلَةٌ، بَربَريٌّ سِكِّيثيٌّ، عَبدٌ حُرٌّ، بل المَسيحُ الكُلُّ وفي الكُلِّ».

- عندما وصل الأمر إلى الرسل يبدو أنهم حاولوا التحقق من الأمر ويبدو أن ثمة حقائق قُدمت لهم جعلتهم يدركون أن هذه مشكلة حقيقية وبالتالي أعارتها الكنيسة اهتمامًا وجدية وتعاملت معها وتنبهت إلى ضرورة تنظيم هذه الخدمة الهامة ومحاولة تنفيذها بشكل أفضل فيه كرامة للخدمة وكرامة للمخدومين.

كيف تعاملت الكنيسة الأولى مع هذه الأزمة بحيث يخرج تقرير ما بعد المشكلة لا عن خسائر بل عن مزيد من المكاسب وربح النفوس بشكل أكبر وأكثر انتشارًا بين اليهود خصوصًا عندما آمن كثير من الكهنة بكلمة الرب وقبلوا الرب يسوع وانضموا إلى الكنيسة؟ فما هي المبادئ التي جعلت الأزمة فرصة والتحدي نعمة؟ وكيف نتعامل نحن في هذه الأيام بهذه الطريقة التي تعطي للكنيسة فرصة للانتشار والتأثير وعبور الأزمات بنجاح؟

لقد اتبعت الكنيسة الأولى متمثلة في الرسل كقادة عده خطوات وهي:

١- التقدير الجيد لحجم المشكلة

لم يحاول قادة الكنيسة في ذلك الوقت التصغير والتهوين من المشكلة واعتبارها أصغر من أن نقف وقفة جادة لحلها ولم يحاول البعض التقليل من شأنها لأنها تخص نساء وأيضًا لم يعتبرها البعض أنها لا تخص الشريحة الأعلى اجتماعيًا في الكنيسة ولكنها تخص طبقة لم يكن ينظر إليها المجتمع بتقدير وهن الأرامل النساء.

كذلك لم يحاول البعض الآخر التهويل من المشكلة وتضخيم الأمر واعتبار ذلك نوعًا من التفرقة الموجهة إلينا كيونانيين وأن العبرانيين يحاولون تنحيتنا من المشهد وتوجيه إهانة لنا متمثلة في إهانة أراملنا، كذلك لم نر فئة ثالثة تحاول إنكار وجود المشكلة ووضع الرأس في الرمال وتلجأ لدعاوى الروحانية الزائفة لتفسر المشكلة التنظيمية باعتبارها نقصًا في الروحانية، أو إنكار أن الكنيسة يمكن أن يكون فيها نوع من الإغفال أو التذمر أو التمييز فهي أسمى من أن يُنسب إليها أي تقصير، وأن هذه الأمور تجد مبررها في مشكلة ضعف الإيمان، أو أن استخدام الشيطان لبعض العناصر لإثارة الفتنة يحتم على الكنيسة ألا تنصت إلى تلك الشكاوى، وكذلك لم نر فئة رابعة تحاول تأجيل التعامل مع المشكلة لأنهم مشغولون بأمورهم وبالتالي تتفاقم المشكلة ويصبح ما كان في الإمكان حله أكثر تعقيدًا وخصوصًا أنها خدمة اجتماعية ولديهم الأمور الروحية الأهم.

لكن ما حدث هو تقدير حجم المشكلة بشكل طبيعي دون إنكار أو تأجيل أو تهويل أو تهوين أو روحانية زائفة بل وضعوا المشكلة في حجمها الصحيح ووقتها الصحيح لذلك كان الحل ناجزًا.

٢- عامل الوقت

إن القرارات الصحيحة لا تتمثل فقط في مضمونها الصحيح بل أيضًا في التوقيت الصحيح الذي لابد أن تُتخذ فيه، فكم من قرارات صحيحة تُتخذ في وقت خاطئ فلا تمثل حلاً صحيحًا. لم يترك الرسل وقتًا للمشكلة لكي تتفاقم وتصبح تلال الركام جبالاً وذلك يظهر في التوقيت الذي تم فيه التدخل في المشكلة فلم يتم تجاهلها وإضاعة الوقت ولم يتم تجنبها أو إرجاؤها وتأجيلها ولكن كان التصرف في الوقت المناسب لحلها. فعندما تكون البندقية كافية الآن لحل مشكلة ليس من الحكمة الانتظار حتى يصبح من المحتم استخدام المدفع.

إن ملاحظة الخلافات البسيطة والحرص على مصالحة كل الفرق المتخاصمة قبل أن تتسع هوة الانقسامات وتستشري أمر حتمي، فالتعامل مع المشكلة في مهدها أسرع وأضمن طريقة

لحلها. يقول مايكل يوسف في كتاب أسلوب يسوع في القيادة: «إن القادة الحكماء لا يدعون المشاكل الصغيرة تتحول إلى مشاكل كبيرة».

٣- إشراك الآخرين في المشكلة والحل والعمل المسئولية:

عندما برزت المشكلة نرى الاثني عشر يدعون جمهور التلاميذ ويشاركوهم في المشكلة بعرضها عليهم وأيضًا إشراكهم في أنه ليس من الأفضل أن يترك التلاميذ الاثنا عشر خدمة الكلمة ويخدمون موائد وأيضًا شاركوهم في حل المشكلة، ولابد أن حوارًا قد تم في ذلك الوقت لكي يتم التوصل إلى الحل الذي هو انتخاب سبعة رجال لكي يقوموا بهذه الخدمة، والانتخاب يتم من جمهور التلاميذ الذين نعرف من بداءة الإصحاح السادس أن عددهم تكاثر جدًّا وأيضًا لا نرى الرسل مستحوذين على كل مقاليد الأمور بل كان هناك اتجاه صادق لتوزيع الأدوار وعدم الاستئثار بالعمل والخدمة بل اعترفوا بأنهم لا يقدرون أن يقوموا بكل شيء لكن لابد من تفويض آخرين ليكونوا مشاركين بل مسئولين عن الخدمات المتنوعة في الكنيسة بعكس ما نرى في كثير من مواقع الخدمة في هذه الأيام في مجالات كثيرة تحتاج إلى إعادة نظر. وقام جمهور التلاميذ باختيار السبعة وأقاموهم أمام الرسل وصلُّوا ووضعوا عليهم الأيادي. وبالتالي أشرك الرسل الاثني عشر تلاميذًا في المشكلة وفي الحل دون الانزلاق في مشكلة القرارات المسبقة وهذا النوع من التعامل يحقق أكثر من مجرد حل لمشكلة قائمة إذ يعطى للكنيسة:

١- تدريب للآخرين على مواجهة الأزمات لخلق صف ثان وثالث يستطيع أن يتعامل مع قضايا المستقبل.

٢- إحساس الجماعة بالجسد الواحد وأن كل عضو مهم في وسط هذه الجماعة التي لا تتعامل بدكتاتورية القادة بل بشراكة الآخرين.

٣- التنوع والغنى من خلال آراء الآخرين وأفكارهم ما يجعل الكنيسة ترى المشكلة من أكثر من جانب وأكثر من رؤية للحل.

٤- الذي يشارك في المشكلة وفى محاولة حلها يصبح عنصرًا أساسيًّا في الحل والمعاونة على ذلك. أما الذي يتم تنحيته عن المشكلة يتحول إلى ناقد ليس شريكًا في الحل بل عبئًا على من يحاولون الحل.

٥- تعميق قيمة الانتماء لهذا الجسد الذي يهتم ليس بي كفرد في سلسلة تعداد سواء العضوية أو التعهدات بل كعضو له حق التعبير عن رأيه والمشاركة في اتخاذ القرار بطريقة تضمن عدم التهميش.

٤- التعامل مع جذور المشكلة

إن الكثير من مشاكلنا تظل بلا حل بالرغم من الجهد الكبير الذي يتم في محاولة معالجتها ويذهب بلا فائدة وذلك لأننا كثيرًا ما نحاول التعامل مع ظواهر المشكلة وليس مع الأسباب الحقيقية لهذه المشاكل.. فإن التفكير العلمي هو كيف نضع أيدينا على السبب الأصلي للمشكلة ونحاول التعامل معه لأن محاولة معالجة ظواهر المشكلة سيدخلنا في دوائر مفرغة دون الوصول إلى حل. ولقد وضع الرسل أيديهم على أساس المشكلة وهي:

- تكاثر عدد التلاميذ والمؤمنين والمنضمين من الأرامل سواء يونانيات أو عبرانيات.
- من يقوم بهذه الخدمة اليومية لهم غير متفرغ لهذا العمل ولذلك هو مشغول بأكثر من أمر.
- ليس الأفضل هو تفرغ الرسل لهذه المهمة.

وبالتالي فالمشكلة هي في إيجاد متفرغين مختصين لهذه الخدمة وبالتالي يكون الحل هو اختيار سبعة من المؤمنين ليكونوا متفرغين ويقيمونهم على هذه الحاجة. وعندما تم التوصل إلى جذور المشكلة لم نعد نسمع عن هذا الأمر كمشكلة للكنيسة في تقرير لوقا عما حدث في العصر الرسولي الأول.

٥- التفكير المبدع والمتجدد

كم كان الحل الذي فكرت فيه الكنيسة مبدعًا ومتجددًا! فلم يكن هناك فيما سبق ما يُسمى بخدمة الشموسية ولم نسمع عنها من قبل، فقد تعامل التلاميذ مع الاحتياج بطريقة مبتكرة أي أنهم تعاملوا مع «مشاكل اليوم بأساليب وأدوات اليوم».

إن أكثر ما يهددنا ككنيسة اليوم هو أننا نتعامل مع مشاكل اليوم بأدوات ووسائل الأمس ونتصدى لتحديات الغد بأدوات ووسائل أول أمس، حيث القوالب الجامدة من التفكير والطرق التي فشلت سابقًا ونحاول أن نطوِّع الحاضر لهذه الطرق وكأن الإبداع والتفكير انتهى عند العصر الرسولي، فما كان مبدعًا وخلاقًا أمس يمكن أن يكون تقليديًا ومتهالكًا اليوم. وهذا تحدٍّ كبير أمامنا في هذه الأيام وخصوصًا كمجتمع شرقي ينظر إلى المستقبل بمنظار الأمس. لذا فالضرورة تقتضي:

١- تحليل الحاضر جيدًا واستشراف المستقبل بوعي.

٢- استيعاب الوسائل والطرق والأساليب المعاصرة والانفتاح على ما يثبت تأثيرًا إيجابيًا.

٣- عدم الانحسار في الماضي وكأن الماضي هو أفضل ما كان ولن يكون في الإمكان أبدع مما كان. فالماضي مخزن نستدعي منه خبرات وتجارب للتعلم والاستفادة وليس سجنًا نسجن أنفسنا وشعبنا فيه.

٤- الإبداع والابتكار في التعامل مع المشاكل والأزمات بل والفرص أيضًا.

٥- استيعاب طاقة الشباب الإبداعية المتجددة واحتواءها بجانب خبرات واختبارات الشيوخ.

لقد كان السيد المسيح واضحًا عندما نصح قائلاً: «ليس أَحَدٌ يَجعَلُ رُقعَةً مِنْ قِطعَةٍ جديدَةٍ علَى ثَوْبٍ عتيقٍ، لأنَّ المِلءَ يأخُذُ مِنَ الثَّوْبِ، فيَصيرُ الخَرقُ أردأَ. ولا يَجعَلونَ خمرًا جديدَةً في

زِقاقٍ عتيقَةٍ، لِئلا تنشَقَّ الزِّقاقُ، فالخمرُ تنصَبُّ والزِّقاقُ تتلَفُ. بل يَجعَلونَ خمرًا جديدَةً في زِقاقٍ جديدَةٍ فتُحفَظُ جميعًا» (مت ٩: ١٦ -١٧)

يعلق الأب متى المسكين في تفسيره لهذا الموقف «هنا فعل» انتخبوا «لا يشمل دخول الرسل في عملية الانتخاب، إذ أعطوا حق الانتخاب بكامله للشعب دون التدخل الرئاسي من الرسل، وهذا أول وضع كنسي على مستوى الحرية الواعية إعطاءً وممارسة بالنسبة للرئاسة الكنسية مع الشعب».

٦- التنظيم والترتيب:

إن هذا النظام الذي وضعه الرسل هو أبلغ رد على من يظنون أن العشوائية نوع من الروحانية أو حسب القول الشائع «بالبركة» ولكن النظام ليس الجمود والتحجر. فنحتاج إلى التنظيم والترتيب الذي يسهم في تقدم العمل ونمو الخدمة والنظام الذي ييسِّر الأمور لا أن يعقِّدها، النظام الذي نراجعه ونصلحه ونمتحنه من وقت لآخر فليس من الحكمة أن نضع نظامًا ونرى عدم فاعليته ونصر على تطبيقه فإن النظام في خدمة الإنسان وليس العكس، السبت لأجل الإنسان وليس الإنسان لأجل السبت

وضع الرسل النظام الذي يجعل الاثني عشر مهتمين بخدمة الكلمة والوعظ والتعليم والشمامسة لخدمة الموائد. يقول الأب متى المسكين في شرح أعمال الرسل «كلمة» انتخبوا «كأمر الرسل للتلاميذ للقيام بعملية الاختيار «بالانتخاب الحر». هنا لا نسمع قط عن القرعة، فقد انتهت من الإنجيل بحلول الروح القدس. وأصبحت الكنيسة المملوءة من الروح القدس مسئولة عن «الانتخاب» لمن هو لائق لكل عمل في الكنيسة، من الرئيس (الأسقف) حتى الشماس. وذلك على أساس الروح القدس الذي يدبر الكنيسة في كل أمورها، وعلى المسيح الرأس الذي ينظر ويسمع ويبارك. لذلك نجد الانتخاب يقوم أول ما يقوم على شهادة الجماعة أن المختار أو المنتخَب هو «الممتلئ من الروح القدس». هذا هو الشرط الأول والأساسي.

وهذا النظام ساهم في حل المشكلة بل وتسديد الاحتياج والقدرة على الإبحار السلس في بحر من النجاح والتفوق في الخدمة وجذب النفوس والاهتمام الجاد بمن يحتاج إلى خدمة الموائد وهكذا تقدمت الكنيسة اجتماعيًّا وروحيًّا بفضل نظام وترتيب يعي الاحتياجات.

٧- التوظيف الجيد للقدرات والمواهب

ليس هناك خدمة أسمى من أخرى فمن يساهم في خدمة الكلمة والوعظ والترنيم ليس أفضل ممن يساهم في خدمة الموائد والمحتاجين والخدمات الأخرى غير المنظورة في الكنيسة، ولم يكن اختيار الرسل التركيز في خدمة الكلمة وعدم المشاركة في خدمة الموائد نوعًا من إحساس الرسل بأن هناك دورًا أهم من آخر أو خدمة أهم من أخرى لكن التصنيف على حسب الموهبة والمقدرة، ففي اختيارهم لخدمة الكلمة كان إحساسهم بأن الله وهبهم هذه المواهب التي تتعلق بمعرفة الكلمة والتفسير والوعظ وقد وهب آخرين مواهب أخرى مثل الخدمات التدبيرية في الكنيسة. فالحكمة تظهر في كيفية توزيع الأدوار في الكنيسة ليس بحسب المجاملات التي تضر بالخدمة أو بالطمع في الحصول على الأدوار المنظورة بل في الاكتشاف الواعي للقدرات والمواهب التي أعطاها الله لأعضاء كنيسته وكيفية وضع كل عضو في خدمة تتناسب مع المواهب التي منحها له الروح القدس لخدمة الكنيسة وبنيان المؤمنين. «وهو أعطَى البَعضَ أنْ يكونوا رُسُلًا، والبَعضَ أنبياءَ، والبَعضَ مُبَشِّرينَ، والبَعضَ رُعاةً ومُعَلِّمينَ، لأجلِ تكميلِ القِدِّيسينَ لعَمَلِ الخِدمَةِ، لبُنيانِ جَسَدِ المَسيحِ» (أف ٤: ١١).

إن التفكير في إقامة هؤلاء الخدام يعطي لنا مؤشرًا هامًّا في تفكير الكنيسة تجاه خدمة من يطلق عليهم العلمانيين في الكنيسة - مع التحفظ على المصطلح لأننا لا نقسم الكنيسة إلى إكليروس وعلمانيين – فقد كانت الخدمة شراكة للجميع دون وضع حواجز وكيف يمكن للكنيسة أن تكسب طاقات جبارة من خلال خدمة الجميع متفرغين وغير متفرغين مرتسمين وغير مرتسمين.

٨- أساسيات لا يمكن التغاضي عنها:

عندما فكرت الكنيسة كرسل وتلاميذ في الحل وضعوا شروطًا لقبول هؤلاء الخدام الذين يتفرغون لخدمة الموائد كشمامسة لا يمكن التغاضي عنها وهي المؤهلات الروحية والشخصية التي لابد من توافرها في الذين يتم اختيارهم وهي الواردة في (أع ٦: ٣).

ونلاحظ الآتي:

- لم تجعلهم نوعية الخدمة التي سيقوم بها الشمامسة دافعًا للتساهل في طبيعة الحياة الروحية أو السيرة الحسنة لهؤلاء المختارين. فأحيانًا ندقق في اختيار خدام الكلمة وقادة الاجتماعات أما الخدمات الأخرى كالخدمات التدبيرية التي لا يراها الناس لا تحتاج أن ندقق بنفس القدر فلن يراهم الناس وبالتالي يمكن التغاضي عن طبيعة حياتهم الروحية.
- لم تجعلهم الطريقة الديموقراطية يتركون المؤهلات التي يتم الاختيار بناء عليها لاختيار الشعب أو إمكانية الإجماع على عدم أهمية الحياة الروحية أو السيرة المشهود لها ولكنهم تركوا فرصة للاشتراك في المشكلة والحل بنوع من مسئولية القادة ووضعوا الشروط التي لا يجب بأي حال من الأحوال التغاضي عنها في الاختيار. أما هذه الشروط فسوف نتعرض لشرحها فيما بعد.

من خلال هذه المبادئ تم اجتياز المشكلة، وعبور التحدي، ونجاح الكنيسة في التصدي للمشكلة وكسب فرصة لمزيد من الخدمة وانضمام أعضاء جدد ليس فقط لعضوية الكنيسة بل لجماعة الخدام، يقول مايكل جرين إنه قد تم اتخاذ القرار في هذه القضية الحساسة بمنتهى الاستقامة والحنو والعمل الجماعي المشترك المسئول من قبل الاثني عشر إذ لم يكن هناك أدنى شك في أن رغبتهم القصوى كانت البحث عن مشيئة الله لحل أي مشكلة صعبة ويتساءل ماذا لو اختار قادتنا القرارات بهذه الطريقة؟!.

وكان التقرير عن حال الكنيسة بعد تنفيذ هذه الفكرة هو:

«وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جدًّا في أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان» (أع ٦: ٧).

الفصل الثالث

الخدام السبعة

يخبرنا لوقا في أعمال ٦: ٥ من هم هؤلاء السبعة:

«فاختاروا استِفانوسَ، رَجُلًا مَملوًّا مِنَ الإيمانِ والرّوحِ القُدُسِ، وفيلُبُّسَ وبُروخورُسَ ونيكانورَ وتيمونَ وبَرميناسَ ونيقولاوُسَ دَخيلًا أنطاكيًّا».

١. **برخوروس:** البعض يقول إنه كان من السبعين (لو ١٠: ١-٢٠) أيام المسيح.

٢. **نيكانور:** التقليد الأرثوذكسي يقول إنه واحد من السبعين وتألم أيضًا مع استفانوس أثناء رجمه.

٣. **تيمون:** كان شخصًا لديه مواهب متعددة وكان الرب يستخدمه في شفاء مرضى واستُشهد في اليونان.

٤. **برميناس:** البعض يقول إنه وعظ وبشَّر في أسيا في تركيا ويقال إنه استُشهد في فيلبى.

٥. **نيقولاوس:** من أنطاكية «سورية أو بيسيدية» وكانت أنطاكية بيسيدية قريبة من أورشليم وتحول إلى اليهودية ثم إلى المسيحية. وكما يعلق الأب متى المسكين قائلاً «والوحيد الذي ليس من أصل يهودي بل هو أممي دخيلٌ أنطاكيٌّ، واعتناء القديس لوقا بذكر أنه دخيلٌ أنطاكي يوضِّح ضمنًا اهتمام القديس لوقا بأنطاكية ومعرفة دخلائها مما

يوحي بأن لوقا هو نفسه أصلًا من أنطاكية. وقد جرت محاولات للتعرُّف على نيقولاوس هذا من هرطقة النيقولاويين الذين ذكرهم سفر الرؤيا (٢: ٦و١٥)، ولكن لم يعثر العلماء على دليل واحد للربط بين هذا الاسم لهذا الشخص وبين تلك الهرطقة».

٦. **استفانوس:** وسوف نركز الدراسة عليه في الباب الثالث.

٧. **فيلبس:** وسوف نركز الدراسة عليهم في الباب الثالث.

نعرف من خلال أسمائهم أنهم كانوا جميعًا من اليونانيين لأنهم كانوا من القادة البارزين وسط المجموعات اليونانية التي قبلت الرب يسوع وظهرت فيهم صفات ومميزات جعلتهم موضع ثقة واختيار الرسل والتلاميذ. وكان واحد منهم دخيلاً أنطاكيًا وهو من أصل أممي وكان دخيلاً على اليهودية وهو نيقولاوس. وكان السبعة يونانيين بالرغم من أن كل الرسل في ذلك الوقت كانوا عبرانيين. ويبدو أن الكنيسة في ذلك الوقت أرادت أن ترسل رسالة لليونانيين وهي المساواة ليس فقط في استحقاق المخدومين للخدمة لكن أيضًا المساواة والشراكة في المسئولية عن الخدمة أيضًا، فاختارت أن يتشارك اليونانيون في مسئولية الخدمة والرعاية والاهتمام برعية الله في الكنيسة الأولى من يهود عبرانيين ويهود يونانيين قبلوا المسيح في ذلك الوقت. ويجب أن ننظر لهذه الخطوة الهامة بعين التقدير والإجادة من الكنيسة الأولى في محاولة كسر الحواجز تجاه كل ما هو موروث ومعتاد يحوي نوعًا من التمييز أو إحساس الأفضلية.

إيريناوس أسقف ليون حوالى ١٨٥م هو أوّل من أطلق على استفانوس أوّل الشهداء لقب «شمّاس»، وتكلّم عن آخر من جماعة «الشمامسة السبعة»، نيقولاوس كواحد من السبعة الذين هم أوّل المرسومين شمامسة من الرسل، كما يربط الشموسية بوظيفة اللاويين في العهد القديم.

لماذا أُطلق عليهم شمامسة؟

كثيرًا ما يُشار إلى ما جاء في الإصحاح السادس من سفر أعمال الرسل عن انتخاب سبعة رجال يكونون «مشهودًا لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة» لخدمة الأرامل (أع ٦: ١-٦) على أنه أساس إقامة الشمامسة، ولكن الكتاب المقدس لا يطلق على هؤلاء السبعة أو على أي واحد منهم لقب «شماس»، بل والأكثر من ذلك أن كلمة «خدمة» (دياكونيا) تستخدم في الإشارة إلى «خدمة الموائد» (أع ٦: ٢)، وكذلك «خدمة الكلمة» (أع ٦: ٤). كما أن خدمة استفانوس وخدمة فيلبس، تدلان على أن خدمتهما لم تكن مقتصرة على «خدمة الموائد». وتتركز أهمية ما جاء في هذا الإصحاح السادس من سفر أعمال الرسل، ليس على إنشاء وظيفة معينة في الكنيسة، بل باعتبارها أول مثال للتفويض بالمسئوليات التدبيرية والاجتماعية إلى الأشخاص المؤهلين بالأوصاف والمواهب اللازمة، لتحذو حذوهم كنائس الأمم، والإقرار بأن هذه الخدمات هي جزء لا يتجزأ من خدمة المسيح.

لكننا نستطيع أن نتفق بشكل جزئي مع هذا الرأي وهو أن تكليف الرسل لهؤلاء السبعة لا يعد بداية خدمة الشموسية بشكلها الذي مر بكثير من التطوير ولكننا نستطيع أن نلمس في هذا التكليف الإرهاصات الأولية التي كانت أحجارًا تأسيسية في طريق إرساء هذه الخدمة.

كما اتفقنا من قبل أن كلمة شماس تعني خادمًا وليس الأمر مجرد معنى بل دلالة. وإطلاق لقب شمامسة على خدام الموائد وعلى خدام الكلمة لا يقلل من إمكانية إطلاق لقب شمامسة على أي فئة منهم. وأيضًا كون فيلبس واستفانوس ركزا على خدمة الكلمة والكرازة والدفاع عن الإيمان في حياتهما وتقرير لوقا عنهما لا يقلل من هذه الإمكانية وهناك دراسة خاصة بهذا الأمر في هذا الفصل تحت عنوان «هل قام الشمامسة السبعة بالخدمة التي رُسموا لها؟»

وكما اتفقنا أن الكتاب المقدس لا يحدد ماهية خدمتهم ولكنه يقدم لنا ماهية حياتهم

وشروط اختيارهم من خلال النصوص المختلفة التي تضع المواصفات الخاصة لمن يقوم بهذه الخدمة وبالتالي كان اختيارهم هو تفويضًا بالمسئوليات التدبيرية والاجتماعية إلى الأشخاص المؤهلين بالأوصاف والمواهب اللازمة. ويبدو أن ثمة إجراءات وتطورات مرت بها حتى وصلت للصورة التي أقرها بولس الرسول في رسائله كوظائف رسمية مثل وظيفة الأساقفة والشيوخ ولا يستبعد دور كبير لبولس في هذا الأمر.

وبالتالي إطلاق مسمى شمامسة على الخدام السبعة في أعمال ٦ كان بأثر رجعي كبداية غير مكتملة المعالم لهذه الخدمة ولا يمكن أن تشمل الصورة التي وردت فيه كل معالم التجربة دون المرور بكل تطورات هذه الخدمة ليس فقط في سفر الأعمال ولكن في تاريخ الكنيسة بكل خطواته في إكمال هذه الصورة حتى الإخفاقات التي مرت بهذا الدور تعتبر جزءًا من الصورة وأيضًا كل التعديلات والإصلاحات التي مرت بها دون محاولة إعطاء صورة مثالية غير قابلة للنقد لمثل هذه الأمور. فكل محاولة بشرية يمكن أن تخضع للتقييم والإصلاح دون تأليه ودون ادعاء امتلاك الحق المطلق. ومازالت هذه الخدمة ونظيراتها من الخدمات قابلة للتطوير والإبداع والتخلي عن كل ما يعطل الخدمة وإضافة كل ما يفعلها.

المواصفات التي حرصت عليها الكنيسة لاختيار الخدام السبعة:

تتلخص المواصفات في:

أشخاص مشهود لهم، ونلاحظ أن الرسل قالوا لهم اختاروا منكم، أي من وسط المؤمنين التابعين للرب الذين تتلمذوا ليكونوا تلاميذ للرب يسوع وينتمون للكنيسة المحلية في أورشليم وأيضًا مملوئين من الروح القدس والحكمة. ويضيف تقرير لوقا عن استفانوس كان مملوءًا إيمانًا وقوة وبالتالي تكون المواصفات التي تمثل الحد الأدنى للاختيار هي الامتلاء من الروح القدس والحكمة والحياة الشاهدة لهم كتلاميذ بجانب صفات أخرى كانت متوافرة فيمن يتم اختيارهم بحسب ما أعطى الله لكل واحد فيهم من مواهب وقدرات، وسوف أقدم لمحة

عن كل واحدة من المواصفات التي يجب أن تكون في من تم اختيارهم من قبل الكنيسة في ذلك الوقت:

١- **اختاروا منكم:** كان الكلام موجهًا إلى جمهور التلاميذ الذين تبعوا الرب وقتًا كافيًا وتعلموا من الرسل حيث كان الرسل في الكنيسة الأولى يحرصون على تعليم الرسل أع ٢: ٤٢ وبالتالي لم يكن الشرط هو مجرد الإيمان بالرب يسوع لكن كان يجب أن تمر فترة على هذا الحديث في الإيمان لكي يثبت في التعاليم والعقيدة والكلمة ويقترب من الجماعة المؤمنة ليحيا وسطهم فترة ليست بقليلة لتأكيد إيمانه وتعليمه ما يجب أن يتعلمه كخادم للرب وليس مجرد تابع عادي وكان يجب أن يكون هذا الشخص من وسط الجماعة وليس معزولًا عنها أو متغيبًا عن اجتماعات جماعة الكنيسة ويحرص على الالتزام بالعبادة وبالدروس التعليمية أو المهام الكرازية أو التدبيرية التي كانت الكنيسة تشارك أعضاءها فيها.

٢- **مملوؤون من الروح القدس:** هذا الأمر كثيرًا ما أخذ بحثًا ودراسة وأيضًا مجادلات واختلافات في إيضاح هذا المعنى، ولكن بدون الدخول في تفاصيل كثيرة أقدم باختصار ما يعينه هذا الشرط الهام:

- أن الملء بالروح القدس هو المستوى الطبيعي والمعدل الذي العادي الذي يجب أن يتوافر في الحياة المسيحية للمؤمن.
- الملء أمر مستمر ومتجدد أيضًا ونتائجه لابد أن تكون مستمرة ودائمة في أفسس ٥: ١٨ « ولا تسكَروا بالخمرِ الذي فيهِ الخَلاعَةُ، بل امتَلِئوا بالرّوحِ،» ويأتي الأمر بالامتلاء في زمن المضارع المستمر الذي يفيد استمروا ممتلئين بالروح.
- الامتلاء ليس من الروح بل الامتلاء في الروح أي أن حرف الجر يترجم «في» أدق من «بـ» وبالتالي لا يصبح الروح هو المادة التي أمتلئ بها بل هو المجال الذي أكون أنا فيه.

- الامتلاء بالروح هو الحياة تحت تأثير الروح وفي خضوع له، وهو يقود إلى سلوك أخلاقي متعقل ويجعل المؤمن يتغير إلى الصورة التي يشابه فيها يسوع.
- أن الروح الذي أمتلئ فيه هو الله نفسه وبالتالي الامتلاء بالروح هو الخضوع لله والحياة تحت قيادته وهذه القيادة تعلن من خلال الكلمة المقدسة والعلاقة الشخصية مع الله وبالتالي نجد أن الامتلاء بكلمة الرب وبحياة الخضوع والتكريس له هو قصد به الامتلاء بالروح القدس.
- هذا الامتلاء يقود إلى حياة مقدسة وخدمة مكرَّسة وعلاقات صحية وناضجة مع الجماعة وأيضًا عبادة فعالة ومغيرة وحياة شاهدة. وتظهر هذه الملامح للحياة الممتلئة في أفسس ٥: ١٨ – ٢٠ «ولا تسكَروا بالخمرِ الذي فيهِ الخَلاعَةُ، بل امتَلِئوا بالرّوحِ، مُكلِّمينَ بَعضُكُمْ بَعضًا بِمَزاميرَ وتسابيحَ وأغانيَّ روحيَّة، مُترَنِّمينَ ومُرَتِّلينَ في قُلوبِكُمْ للرَّبِّ. شاكِرينَ كُلَّ حينٍ علَى كُلِّ شَيءٍ في اسمِ رَبِّنا يَسوعَ المَسيحِ، للهِ والآبِ. خاضِعينَ بَعضُكُمْ لبَعضٍ في خَوْفِ اللهِ».

٣- مملوؤون حكمة وإيمانًا وقوة :

يعتقد «جون ستوت» أن ما تمتعوا به من حكمة وقوة وإيمان يرجع إلى مواهب روحية خاصة أُعطيت لهم. عبارة «مملوئين حكمة» تعني الحكمة أي التصرف بتعقل واستخدام المعارف والإمكانيات والمواهب بصورة تعطي تقدمًا لمجد الله وخدمته فهي حسن تدبر الظروف والمواقف والاتجاهات لكي يؤول الأمر إلى نجاح الخدمة وتواصل المسيرة. وهي تعني أيضًا التصرف بعدالة في المواقف وتجنب الاتجاهات المغالية في التصرف وهي نوع من الإمكانيات التي يتيحها سكنى الروح القدس في حياة المؤمن وامتلاؤه به وظهرت أيضًا في محاورته مع اليهود أعمال ٦: ١٠ والحكمة سمة لازمة لكل مسيحي لتدبير أموره الروحية والمادية ولازمة للشمامسة ليدبروا احتياجات العائلات بحكمة دون مبالغة سواء في العطاء أو في الاقتصاد.

والإيمان والقوة: تعبير يصف نعمة الله القوية التي كانت تظهر فيهم، وهي تعبير عن القبول والتأثير والراحة التي كان يتلامس معها الآخرون الذين يخدمون معهم أو يخدموهم. وهي تعبير عن قوة الله الممتزجة بالنعمة مثل ما ورد عن الرسل في أع ٤: ٣٣، والحكمة والقوة والإيمان هما من تأثيرات الامتلاء بالروح القدس الذي كانت الحالة الدائمة والمستمرة في حياة هؤلاء المؤمنين.

٤- مشهود لهم:

وهنا يصف السيرة الحسنة والتصرف والسلوك المميز الذي كان من السهل جدًّا لكل من يتعامل معهم التلامس معه. وكانت هذه الصفة ضرورية جدًّا لأنهم سيعملون وسط العائلات والأرامل وسيدخلون بيوتًا ويحملون أسرارًا خاصة باحتياجات خاصة، لذا كان يجب الحرص على أن يكون لهؤلاء شهادة حسنة وسط الجماعة.

أما ما ورد عن استفانوس وفيلبس من أنهما كانا يعملان آيات وعجائب فهي لغة الروح التي كان يخاطب بها الناس لتثبيت الشهادة وإعلان قوة ومجد الله حيث لم يكن هناك كتاب مقدس مكتمل ولم تكن الرسالة لها الصيت المنتشر والتراث الذي لدينا في هذه الأيام، فلم تكن هذه الإمكانية شرطًا للتقدم للخدمة ولم يطلبها صانعوها في صلواتهم لكي يتحلوا بها لكنها كانت اختيارًا إلهيًّا. في ذلك الوقت لم يكن المقصود بها الخدام في أشخاصهم لكن كان ما يقصد بها هو مجد الله ورسالته من خلال كل طريقة وأسلوب.

هل قام الشمامسة السبعة بالخدمة التي رُسموا لها؟

تقرير لوقا في سفر الأعمال عن استفانوس وفيلبس يمكن أن يُعطى بطريقة سطحية أنهما لم يقوما بالخدمة التي وضعت الأيادي عليهما لأجلها فإن تركيز النص على محاكمة واستشهاد استفانوس وعلى كرازة فيلبس في السامرة، لكننا بشيء من التفكير المدقق نرى أن جماعة الخدام السبعة بما فيهم استفانوس وفيلبس قاموا بخدمة الموائد على أكمل وجه وهذا نراه واضحًا من خلال:

١- إن المشكلة التي برزت في (أع ٦: ١) من تذمر اليونانيين على العبرانيين بخصوص خدمة الموائد التي كانت تقدم للأرامل والمحتاجين قد تم حلها ولم تعد تطفو على السطح مره أخرى بعد إجراء هذا التخصيص لهذه الخدمة وهذا مؤشر هام على قيامهم بهذه الخدمة على أكمل وجه.

٢- إن نجاح هذه الخدمة وإعطاء الفرصة الكاملة للرسل للتركيز في خدمة الكلمة وعدم إغفال الخدمة الاجتماعية للكنيسة في ذلك الوقت ساهم بشكل هام في نمو الكنيسة الذي يقدم لوقا تقريرًا عنه يقدم صورة باهرة عن نمو الكنيسة أعمال ٦: ٧ «وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ تَنْمُو، وَعَدَدُ التَّلاَمِيذِ يَتَكَاثَرُ جِدًّا فِي أُورُشَلِيمَ، وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْكَهَنَةِ يُطِيعُونَ الإِيمَانَ».

٣- أن نجاح الكنيسة روحيًّا واجتماعيًّا كان مصدرًا لقلق القادة اليهود الذين رأوا تأثيرًا فعليًّا للكنيسة على المجتمع وبالتالي شعروا بالتهديد الذي يقف أمام تحقيق مصالحهم ومكاسبهم المادية وسلطتهم وهيمنتهم على الشعب الذي انصرف عنهم واتبع هذا الفكر الجديد.

٤- إن الكتاب المقدس عندما لا يعطي مساحة أكبر لتفاصيل الأعمال الاجتماعية التي قام بها استفانوس وفيلبس لا يعني أنهما لم يقوما بها أو استخفا بهذه المهمة ووضعاها جانبًا، فتقرير لوقا في أعمال الرسل ليس رصدًا لكل ما كان يحدث في الكنيسة بل كان محاولة للوقوف أمام المحطات الهامة التي كانت تمثل نقلات في خدمة وتأثير وحياة الكنيسة الأولى.

٥- إن الكرازة والشهادة التي قدماها لم تكن البديل عن الخدمة العملية ولكنها طبيعة حياة واتجاه كل مؤمن أيًّا كان عمله أو خدمته الخاصة أو مواهبه، فالشهادة والكرازة هي المهمة العامة التي يحيا كل مؤمن بين جنباتها.

ونلاحظ أن هذا التنظيم الذي قام به الرسل وكلمة «نواظب» كما يوضح د.ق كينيث بيلي» لا تعنى الاهتمام بأمر وترك الآخر كليًا وعدم الالتفات إليه، بل تعنى تركيزًا على أمر دون تجاهل الآخر. فالأمر هو ترتيب الأولوية والاهتمام وهذا ما نراه عندما اختير الشمامسة للموائد كيف كان لهم دور هام وحيوي في خدمة الكلمة والكرازة والدفاع عن الإيمان وهذا ما ظهر جليًا في خدمة استفانوس وخدمة فيلبس أعمال ٦، ٧، ٨ وبالتالي كان الشمامسة مسئولين أيضًا عن التبشير والتعليم والكرازة والمعمودية وعن الوعظ والدفاع عن الإيمان بجانب خدمتهم الأساسية وهي الاهتمام بخدمة الموائد. كما لم يترك الرسل لهم الاهتمام بالمحتاجين كليًا.

نماذج من الشمامسة في الكلمة المقدسة

في هذا الباب أقدم دراسة كتابية عن ثلاثة أشخاص؛ اثنين من الخدام السبعة وهما استفانوس المدافع عن الإيمان المسيحي وأول شهيد مسيحي الذي كان أول من قدم حياته شهادة لسيده في تاريخ الكنيسة الأولى والذي من بعده قدم الكثير من الشهود حياتهم للرب، وفيلبس الذي اشتهر بالتبشير والكرازة حيث كانت السمة المميزة لحياته. وقد آثرت أن أتعرض لخدمتهما بالتفصيل لكي نرى كيف كانت حياة اثنين ممن لقُّبوا شمامسة وكيف عاشا وكيف خدما وكيف شهدا وكيف كانت ثمار خدمتها لكي نتخذ من المبادئ التي كانت تحكم حياتهما وخدمتهماوشهادتهما نموذجًا نتعلم منه ونجتهد أن نشق لأنفسنا كخدام طريقًا يمكن أن يكون نموذجًا لآخرين أيضًا. كما التزمتُ بالنص الكتابي كما ورد في سفر الأعمال إصحاحات ٦، ٧، ٨ في محاولة للتوضيح والوقوف عند القضايا العملية التي رأيتها هامة خصوصًا لنا ككنيسة في هذه الأيام، ثم نتناول خدمة امرأة شماسة كانت مساعدة للجميع وهي فيبي خادمة كنيسة كنخريا، ليثبت لنا الكتاب المقدس أن الخدمة ليست قاصرة على جنس معين ولكن يمكن للجميع أن يقدم للرب في كل مجال يُدعى للخدمة فيه.

كل من الشمامسة الثلاثة كانت خدمته مميزة بالشهادة في الحياة وفي مجال الخدمة، فقد تميز استفانوس بالدفاع عن الإيمان وتقديم الحجج المقنعة من خلال فهم واع للكلمة المقدسة وأيضًا تميز فيلبس بالتبشير وقد برع في هذا الدور وتميزت خدمته وحياته في هذا المجال. ونرى أيضًا الشماسة فيبي التي خدمت في كنخريا وتميزت في مساعدة الآخرين حتى إن بولس نفسه يشهد عن مساعدتها له.

الفصل الأول

النظرية والتطبيق
المدافع والمبشِّر
استفانوس وفيلبس

أهم شيء مشترك بين استفانوس وفيلبس هو الربط ما بين النظرية والتطبيق فلقد قدم استفانوس النظرية حيث الأساسات اللاهوتية والكتابية للعمل الاجتماعي والرسالة والكرازة التي تتخطى الحدود، وتخرج عن المألوف، وتعبر الحواجز اليهودية التي وضعوها بينهم وبين الأمم، وتعطى الأسانيد والمرجعيات التاريخية التي يبرهن من خلالها كيف أن الله غير محدود بحدود جغرافية أو نوعيات معينة من البشر حسب التفكير المتشدد والمتعصب لدى اليهود في ذلك الوقت. ونرى في فيلبس تطبيقًا لهذه النظرية من خلال الانطلاق عبر الحدود لكي يصل إلى السامرة ويكسر حواجز الكراهية والعداوة المتجذرة داخل كلا الشعبين ونراه يقدم رسالة المسيح لهم ونرى القبول المبهر من السامريين وأيضًا ينطلق إلى الطريق ما بين أورشليم وغزه ليبشر الخصي الحبشي ويذهب الخصي إلى الحبشة لينشر رسالة المسيح هناك، ثم يذهب فيلبس إلى أشدود ومن أشدود إلى قيصرية.

وبالتالي فإن ارتباط استفانوس بفيلبس هو ارتباط النظرية اللاهوتية بتطبيقها العملي.

وبالرغم من أن شاول كان واقفًا في هذا المشهد الذي فيه قدم استفانوس محاجته وبالرغم

من أنه كان راضيًا بقتله لكننا نجده بعد ذلك من المتأثرين جدًا بفكر استفانوس واتجاهه في هذا الأمر. وكان استفانوس على قدر من الإقناع الذي جعل بولس يجاهر بهذا الفكر ويعلن أن رسالته هي توصيل المسيح للأمم واليهود على السواء، وأن الرب أعلن له سرًا عظيمًا وهو أن الأمم واليهود وشركاء في الميراث (أف ٣: ١ -١٣) فإن كان بولس مبادرًا في الاتجاه إلى الأمم في النظرية والتطبيق. فلقد سبقه استفانوس في وضع الإطار الفكري والتاريخي لهذه النظرية وقد يكون ما استمع إليه شاول من استفانوس هو اللبنة الأولى في البناء الفكري لشاول في تفكيره ولاهوته تجاه الأمم دون أن يظهر بشكل سريع ولكن تم البناء عليه من خلال الرؤية الخاصة والدراسة والتأمل في الصحراء العربية.

بجانب هذا كان هناك العديد من المتشابهات التي جمعت بينهما مثل:

١- كلاهما برز في ظل وجود أزمة مرت بها الكنيسة، فقد ظهر استفانوس عندما حدثت أزمة تذمر بين اليونانيين والعبرانيين بسبب أن أرامل اليونانيين كُن يغفل عنهن في الخدمة اليومية وعندما فكر الرسل في كيفية إدارة الأزمة كان الحل اختيار مجموعة من الخدام لكي يتفرغوا لخدمة الموائد، ومن هؤلاء كان استفانوس وفيلبس أيضًا، ولكن ظهر استفانوس بوضوح في هذه الأزمة.

أما فيلبس فبدأ في الظهور بعد رجم استفانوس وحدوث اضطهاد عظيم على الكنيسة مما أدى إلى تشتيت الجميع ما عدا الرسل، وهنا نرى فيلبس في إرسالية إلى السامرة والكرازة هناك بسبب الاضطهاد والتشتيت الذي حدث للكنيسة. لكن إن كان السبب في ظهور الأزمة في حالة استفانوس داخليًا - أي أزمة داخل الكنيسة بين اليهود اليونانيين واليهود العبرانيين الذي قبلوا رسالة المسيح وصاروا مسيحيين- فإن الأزمة في حالة فيلبس كانت أزمة خارجية وهي الاضطهاد المكثف الذي شنه اليهود على الكنيسة بعد رجم استفانوس. وهذا يوضح لنا أن الأزمات كثيرًا ما تكون مصنعًا للهمم والعزائم وتكشف

الإمكانيات والطاقات في الخدمة والعمل. وأن الأزمة فرصة لاكتشاف الأشخاص والقادة والمؤثرين وبروز المواهب والقدرات.

٢- كلاهما كانت له خدمه ومسئولية اجتماعية في خدمة الموائد والاهتمام بالفقراء والأرامل في كنيسة أورشليم. فقد تم اختيارهم لخدمة الشموسية وكانت تنطبق عليهم نفس الشروط التي وضعها الرسل وهي الامتلاء من الروح القدس والحكمة والسيرة الحسنة المشهود لها من الآخرين، وأيضًا كلاهما استراح جمهور التلاميذ على اختيارهما من بين السبعة الذين وكِّلوا على هذه المسئولية وبدأوا خدمتهما الرسمية كشمامسة معًا لكن يبدو أيضًا أن اختيارهم لهذه الخدمة لم يكن بداية عهدهما بالخدمة في الكنيسة فإن المؤشرات التي نراها في سفر الأعمال التي تصف حياتهما وخدمتهما تشير إلى أن كليهما كان يخدم حتى قبل اختياره شماسًا. وهذا يوضح لنا أننا لا نحتاج أو ننتظر إلى أن يعهد إلينا الخدمة بشكل رسمي حتى نخدم الرب ولا نظن أن المنصب أو الرسامة هي التي تصنع مني خادمًا ولكن أنا أخدم الرب وإن كان في إرادته أن يعطيني دورًا رسميًا فأنا لا أمانع إن كنت أشعر بدعوة وتثقل بهذا الدور.

٣- كان لكليهما مواهب تبشيرية عظيمة ومؤثرة حيث إننا نرى أسطفانوس في أعمال ٦ كيف أن الرب استخدمه في البشارة لكثيرين وكان يتكلم بحكمة بين اليهود في أورشليم ووسط قادة المجمع وكيف أن الرب استخدمه لكي تصل رسالة السيد لآخرين.

ونرى أيضًا فيلبس له مواهب وإمكانيات تبشيرية حيث إنه ذهب إلى السامرة وبشر هناك وكثيرون آمنوا بالمسيح، وبشَّر أيضًا الخصي الحبشي في الطريق من أشدود إلى قيصرية وكانت النتائج مبهرة.

إن مشاركة الأخبار السارة هي دور كل مؤمن حتى لو كانت خدمته خدمة تدبيرية أو اجتماعية فقد كانت مشاركة الآخرين تمثل الدور البارز في حياة أعضاء الكنيسة الأولى

بعمل الرب في حياتي ورغبته في خلاص الكثيرين.

٤- كلاهما دعمه الله ببعض الأعمال المعجزية والآيات لتأكيد الرسالة (أع ٦: ٨): «وأمّا استِفانوسُ فإذ كانَ مَملوًّا إيمانًا وقوَّةً، كانَ يَصنَعُ عَجائبَ وآياتٍ عظيمَةً في الشَّعبِ.»، (أع ٨: ٦-٧): «وكانَ الجُموعُ يُصغونَ بنَفسٍ واحِدَةٍ إلى ما يقولُهُ فيلُبُّسُ عِندَ استِماعِهِمْ ونَظَرِهِمُ الآياتِ التي صَنَعَها، لأنَّ كثيرينَ مِنَ الذينَ بِهِمْ أرواحٌ نَجِسَةٌ كانَتْ تخرُجُ صارِخَةً بصوتٍ عظيمٍ. وكثيرونَ مِنَ المَفلوجينَ والعُرجِ شُفوا». وهذا يؤكد أن الرب هو الداعم لرسالته وهو الذي يهب فرص وقدرات ترافق العمل الأمين والرغبة الصادقة في التبشير ونشر الرسالة وخصوصًا في مجتمع جديد.

٥- كلاهما واجه اضطهادًا شرسًا من اليهود وكلاهما دفع الثمن. فعندما برز استفانوس نال مقاومة شديدة من اليهود مُمَثلين في أعضاء المجمع الذين قاوموه وحاكموه ودسوا لرجال لكي يشهدوا عليه شهادة زور وهيجوا الشعب والكتبة والشيوخ عليه وحاكموه ولم ينتصروا عليه ولكنهم رجموه، ونرى أيضًا هذا الاضطهاد حدث مع فيلبس حيث احتدم الأمر في أورشليم بعد رجم استفانوس وكثفوا جهودهم للقضاء على كل من يتبع الرب يسوع فكان أن تشتت الجميع ما عدا الرسل فانحدر فيلبس إلى السامرة لكنه قدم رسالة رائعة هناك فكل منهما اضطهد من اليهود ودفع الثمن لكنه حتى في تقديمه لهذا الثمن قدم شهادة أخرى سواء في غفران استفانوس للمضطهدين أو كرازة فيلبس للسامريين. إن المسيحي الذي تشكل الرسالة محور تفكيره يستغل كل فرصة حتى الاضطهاد والتشتت والرجم لكي تصل الرسالة لآخرين مهما كانت الظروف.

٦- كلاهما كانت خدمته تمهيدًا أو خطوةً على الطريق في توصيل الرسالة للأمم فقد كانت التعاليم التي قدمها استفانوس في أعمال ٧ عن الناموس وعن الهيكل وعن المسيا وعن حضور الله غير المقترن بشعب معين أو مكان محدد هو تمهيد لأن تكون

الرسالة المسيحية موجهة لكل البشر يهودًا كانوا أم أممًا وأيضًا نرى فيلبس الذي خرج من حدود أورشليم ليذهب إلى السامرة في تحقيق الخطوة الأولى من إرسالية السيد (مت ٢٨: ٩، لو ٢٤: ٤٧) ونرى ذلك أيضًا يتحقق في خطوة أكثر جرأة وإقدامًا في كرازة فيلبس للخصي الحبشي وزير لكنداكة ملكة الحبشة لكي تصل الرسالة إلى خارج الحدود اليهودية، إن الرسالة التي كلفنا بها السيد هي للعالم أجمع وكل إنسان مقصود برسالة المسيح والتفكير المرسلي لابد أن يملأ قلوبنا وأفكارنا ونحن نبشر به.

٧- كلاهما كان سببًا في نمو الكنيسة وانتشار الإنجيل وهذا ما تورده التقارير عن حياة وخدمة استفانوس أعمال ٦: ٧ «وكانَتْ كلِمَةُ اللهِ تنمو، وعَدَدُ التلاميذِ يتكاثَرُ جِدًّا في أورشليم، وجُمهورٌ كثيرٌ مِنَ الكهنةِ يُطيعونَ الإيمانَ» حيث التأثير الرائع للحياة الشاهدة والاستشهاد الذي كان له أثر بالغ في حياة الكنيسة وأيضًا عن فيلبس في أعمال ٨: ٦ – ٨، ١٢، ٣٧ «وكانَ الجُموعُ يُصغونَ بنَفسٍ واحِدَةٍ إلى ما يقولُهُ فيلُبُّسُ عِندَ استِماعِهِمْ ونَظَرِهِمُ الآياتِ التي صَنَعَها، لأنَّ كثيرينَ مِنَ الذينَ بِهِمْ أرواحٌ نَجِسَةٌ كانَتْ تخرُجُ صارِخَةً بصوتٍ عظيم. وكثيرونَ مِنَ المَفلوجينَ والعُرجِ شُفوا. فكانَ فرَحٌ عظيمٌ في تِلكَ المدينةِ... ولكن لَمّا صَدَّقوا فيلُبُّسَ وهو يُبَشِّرُ بالأُمورِ المُختَصَّةِ بملكوتِ اللهِ وباسمِ يَسوعَ المَسيحِ، اعتَمَدوا رِجالًا ونِساءً... فقالَ فيلُبُّسُ: «إنْ كُنتَ تؤمِنُ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ يَجوزُ». فأجابَ وقالَ: «أنا أومِنُ أنَّ يَسوعَ المَسيحَ هو ابنُ اللهِ».

كان النمو ممتدًا إلى السامرة وقرى أخرى في السامرة ووصلت الرسالة إلى الحبشة.

إن عمل نعمة الله في حياتنا قادر على المساهمة في نمو الكنيسة وامتداد الملكوت لآفاق لا نحلم بها، وعندما نضع مواهبنا وإمكانياتنا بين يديه فإنه يعمل بنا أعمالاً عظيمةً وهذا وعد السيد أن الأعمال التي يعملها هو يعطينا أن نعملها ونعمل أعظم منها.

٨- كلاهما كان الأول: فقد كان استفانوس أول شهيد في المسيحية يُقتل لأجل إيمانه بالمسيح

وبعدها بدأت سلسلة متلاحقة من الذين قدموا حياتهم فقُتلوا ورجموا وحرقوا لأنهم رفضوا أن يتراجعوا عن رسالتهم.

وكان فيلبس أيضًا هو أول مرسل من كنيسة أورشليم إلى خارجها حتى لو لم يكن الأمر بشكل رسمي لكن كان أول من اخترق الحاجز وذهب إلى خارج نطاق أورشليم وقدم بشارة نعمة الله وشارك بأمور الملكوت خارج أورشليم حيث السامرة وبداية تحقيق الخريطة الكرازية التي رسمها السيد.

٩- كلاهما كان يهوديًّا لكنه ينتمى إلى الثقافة اليونانية وهذا يظهر من أسمائهما. فاستفانوس هو اسم يوناني يعني «تاج» ويدل اسمه وعلاقته بالكنيسة في أورشليم أنه كان هلينيستيًّا أي يهوديًّا ينتمى إلى ثقافة يونانية، فهو ينتمى إلى اليهود الذين يسكنون خارج فلسطين وأيضًا فيلبس هو اسم يوناني معناه «حب للخيل».

وكان الهلينستيون يتميزون عن اليهود المحافظين في فلسطين بنظرتهم الأوسع للحياة بسبب الثقافة التي كانت أكثر تحررًا ومع ذلك كانوا يهودًا يغلب عليهم الطابع اليهودي الأصيل.

أولًا: استفانوس

استفانوس اسم يوناني يعنى «تاج أو أكليل» ولا نعرف عنه سوى ما سجله لوقا في سفر الأعمال ولكن ما تم تسجيله عنه كافٍ جدًّا لكي يعطينا صورة مشرقة عن هذا الشاهد الأمين، فلم تكن خدمته وحياته طويلة بمقياس الزمن ولكنها كانت عميقة بمقدار عظيم نراه فيها مؤثرًا ومحفزًا وصاحب تأثير عظيم فقد أدى إلى تغيير اتجاه الفكر الديني المسيحي في ذلك الوقت كما سنرى فيما بعد، أما حياته فنرى وصفها في الصفات التي كان يجب أن تتوافر في حياة من تم اختيارهم لوظيفة الشموسية ولكننا نجد تركيزًا خاصًّا به في أعمال ٦ يعلن تميزه وملامح حياته وشخصيته.

استفانوس شخص صاحب رسالة، هذه الرسالة لم تكن في حدود الفترة الزمنية أو حتى المنطقة الجغرافية فقط التي عاش فيها فقط لكنها رسالة تخطت حدود الزمان فأصبحت ملهمة ومحفزة لأجيال كثيرة متعاقبة وستظل كذلك جيل بعد جيل وكأنها حاضر يعيشه المسيحي ويتعلم منه ويمثل له نموذجًا راقيًا وأمينًا وأيضًا تعدى الحدود الجغرافية فأصبح معلومًا في كل مكان في أرجاء المسكونة كيف قدم إنسان حياته واستخدم كل إمكانياته لمجد المسيح.

- إن استفانوس هو رسالة لكنيسة اليوم التي تريد أن لا تعيش سطحية الفكر والجهل الكتابي بحقائق الإيمان والتاريخ الفكري الذي امتد منذ بداية عهد الله وحتى المسيح والكنيسة، فقد جسَّد الإلمام بالكلمة المقدسة والفهم الواعي والأصيل لها والقدرة على التطبيق المعاصر لقضاياها بشكل رائع.
- استفانوس هو رسالة لكنيسة اليوم المضطهدة التي تعاني من المعاندين للإيمان وخصوصًا في المجتمعات التي فيها إله هذا الدهر أعمى أذهان غير المؤمنين.
- إن استفانوس هو رسالة للكنائس التي جاملت العالم فارتضت بالمهادنة والتساهل في سبيل كسب تأييد أو تجنب المواجهة وآثرت أن تعيش بنصف الحق نصف حياة. وقدم لهؤلاء مبدأً هامًا أنه إذا كنا أمناء لإلهنا فإن العالم يحترمنا والله ينصرنا. أما إذا تخلينا عن أمانتنا فإن العالم يزدري بنا والله يتخلى عنا.
- استفانوس هو رسالة للعطاء وللبذل والأمانة حتى آخر لحظة في الحياة.
- استفانوس رسالة للمحبة الغافرة التي تغفر حتى إلى الموت ويكون همه عند موته هو أن يغفر الله للذين رجموه متمثلاً بسيده.

تجلت خدمته في ثلاث مجالات:

١- الشاهد

بلا شك كان استفانوس من خلال حياته الشاهدة وخدمته الفعالة وأعماله المتميزة ومجاهرته وإعلانه وكرازته بالرب يسوع يمثل خطرًا مباشرًا وتهديدًا صريحًا لمصالح قادة الدين اليهودي من أعضاء المجامع اليهودية والكهنة اليهود في ذلك الوقت لأنهم كانوا يرون ويسمعون عن تحول الشعب عنهم والتفافهم إلى الرسالة المسيحية التي يعلنها استفانوس حيث إنها كانت مؤيدة بحياة شاهدة وأعمال وعجائب وآيات عظيمة يجريها الرب من خلاله لتأكيد الرسالة. وراقبوا كيف أن الشعب كان يقبل على هذه الرسالة ويتحول إلى المسيحية. ولعل من المثير جدًّا أنه لم يؤثر فقط على عامة الشعب بل رأوا أيضًا جمهورًا من الكهنة كانوا يطيعون الإيمان أي يطيعون الدعوة إلى الإيمان بالرب يسوع التي تحتويها الأخبار السارة. وهذا يدل على التأثير الذي اخترق العبرانيين واليونانيين من خلال خدمة استفانوس ورفقائه. ونلاحظ أنه في ذلك الوقت كان عدد الكهنة كبير جدًّا لدرجة أن نوبة كل كاهن كانت تعطيه الفرصة في الخدمة لمدة أسبوعين فقط في العام، وكانت كلمة الله تنمو بينهم وعدد التلاميذ يتكاثر جدًّا في أورشليم، لذا أثار هذا غيرة وحماس رجال الدين اليهودي للتصدي لهذا الأمر الذي استشرى بين الشعب اليهودي.

٢- المدافع

الإصحاح السابع من أعمال الرسل من أغنى النصوص في الكلمة والذي يقدم سردًا رائعًا لقصة معاملات الله مع شعبه والمراحل التي مرت بها هذه العلاقة، وهو من أجمل العظات التي قدمها الكتاب المقدس والتي تدل على عمق صاحبها الفكري واللاهوتي والتاريخي وقدرته على فهم معاملات الله ليس بطريقة سطحية ولكن بعمق فكري منقطع النظير، وأيضًا معرفة تاريخية ليست جامدة ومجردة بل امتزجت مع لاهوت وفكر ديني رائع، وكان استفانوس

أول من كتب تاريخ الفكر الذي بدأ بعض اللاهوتيين في كتابته في عصور متأخرة. كان دقيقًا وواضحًا فيما كتب وسرد وكان ملمًّا بالأحداث وبشكل يظهر حضورًا ذهنيًّا حيث إن تطور الأحداث لم يكن يسمح له بأن يذهب ليجمع من مراجع وكتب، لكن هذا السرد التاريخي اللاهوتي المميز كان استفانوس مستعدًّا به وعندما كان هناك حاجة لكي يعرض ما في فكره فقدمه بشكل مميز.

كما أننا لا يجب أن ننسى أيضًا دور الروح القدس الذي ساهم بشكل أساسي في هذا الدفاع والحجج حيث إنه قد سبق الرب فوعد بذلك في لوقا ٢١: ١٤ – ١٥، لوقا ١٢: ١١ – ١٢ وأيضًا ما قدمه لنا لوقا عن هذه المحاورة التي لم يقرر فيها أعضاء المجمع «أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به» أع ٦: ١٠.

ولم يكن استفانوس يريد أن يدافع عن نفسه خوفًا من الموت على أيدي اليهود بقدر ما كان يريد أن يشهد للرب يسوع أمام هؤلاء اليهود الذين هم أيضًا مقصودين برسالة المسيحويوضح استخدام التراث الديني لهذا الشعب أنه يريد أن يعطيهم رسالة قوية بما ينادى به هو وما أتى المسيح من أجله لأجل كل إنسان يهودي أو أممي.

وكما كان الاتهام ضد استفانوس يرد في قضيتين هامتين وهي قضية الهيكل «الموضع المقدس» حيث يسكن الرب وكيف أنه تجرأ على هذا البيت المقدس الذي سينقض وأن وجود الله مع شعبه غير مرتبط بهذا المكان، والقضية الأخرى هي قضية الناموس؛ حيث تم توجيه الاتهام إليه بأنه – أي استفانوس – ينادي بعوائد وأمور غير التي تركها موسى وهو بذلك ينادى كما نادي سيده من قبل، وبذلك يكون قد جدف ليس فقط على الناموس بل على موسى وعلى الله أيضًا.

لذلك كان الدفاع القوى الذي قدمه استفانوس ينقسم إلى اتجاهين: ما يخص الموضع المقدس، وما يخص ناموس موسى.

كان التفكير اليهودي في ذلك الوقت تجاه الهيكل «الموضع المقدس» أنه مكان حضور وسكن الله، وهو الذي يلخص وجود الله مع شعبه. وكان الرب حبيس ذلك المكان فأي مكان آخر لا يمكن أن يتمتع فيه الشعب بالشركة والعلاقة الناشئة عن وجود الله فيه.

ولقد أصر استفانوس على أن الناس كانت لهم علاقة قوية ووثيقة مع الله حتى قبل بناء الهيكل، وأن الله كان مع شعبه حتى بعيدًا عن أورشليم بل عندما تغربوا في أماكن أخرى لم يكن الرب معروفًا لشعبها، واستطاع الشعب أن ينعم بقيادة وإرشاد إلهيين وعلاقة حية مع الرب حتى في تلك الأراضي الغريبة، وأن الله لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي. هذا الفكر كان صدمة للتفكير اليهودي الجامد في ذلك الوقت. وقدم استفانوس دليله على هذا من خلال سرد التاريخ الذي عاشه الشعب مع الله خلال حقب مختلفة، وقد اختار استفانوس أربع حقب من تاريخ الشعب لكي يستخدم ما حدث مع أبطالها في قراءة واعية لتعاملات الرب لكي يقنع اليهود بما يتبناه من آراء تجاه قضية الموضع المقدس.

أما دفاعه عن الاتهام الآخر الذي يخص موسى والناموس وتغيير العوائد فنرى أن استفانوس لم يهاجم موسى ولم يناقض أي كلمة مما تكلم به موسى، بل كان عارفًا وفاهمًا لما قاله موسى وما قدمه الناموس بشكل أعمق من ما فهموه هم وما ألصقوه بالناموس من تعاليم وتقاليد شفوية كانت في بعض المرات تصل إلى حد التناقض مع الناموس، وأيضًا لم يجدف على الله بكلمة ولكنهم اعتبروا أن أي اقتراب من الموضع المقدس أو ناموس موسى هو تجديف على الله نفسه، لذلك اعتبروا استفانوس مجدفًا على الله نفسه، فقد كان استفانوس ملمًّا بما في الناموس من تاريخ للآباء ومن شرائع ونواميس وتعاليم، وأيضًا كان ملمًّا إلمامًا جيدًا بالأنبياء وبنبوات الأنبياء وهذا يظهر من خلال السرد الرائع الموجز والجامع المانع، ومقدمًا للحقائق في صورة متكاملة.

لم يقدم استفانوس مجرد سرد عميق لم يتضمنه الناموس، لكنه قدم الفهم الواعي والتحقيق

لهذا الناموس، فهو قد فهم ماذا كان يقصد الله بما أعطاه للشعب اليهودي في الشريعة والكتب والأنبياء وما تحققت فيه هذه النبوات وهو المسيح الذي لم يأتِ لكي ينقض أو يغير أو يلغي الناموس، لكنه جاء لكي يحقق ويكمل، وهذا ما رأيناه في حياة وتعاليم وكلمات المسيح عن الناموس وما رأيناه أيضًا في أعمال السيد وكيف أن النبوات تم تحقيقها بالكامل في شخصه، فهو هدف الناموس وغايته وهذا ما قدمه استفانوس للشعب والقادة اليهود في المجمع.

٣- الشهيد

لقصة استشهاد استفانوس تأثير بالغ على حياة المسيحيين في مختلف العصور وهي قصة ملهمة ومحفزة على الشهادة للرب والأمانة حتى إلى الموت، ولقد أدار استفانوس هذا الموقف بشكل جعل مشهد الاستشهاد ليس هو نهاية قصة حياة كارز لكنها بداية حياة ورسالة الملايين من الكارزين. ولقد واجه استفانوس الموقف بأكثر من مبدأ هام ينبغي التوقف أمامه:

١- لم يسلم استفانوس نفسه للمضطهدين لكي يكون فريسة سهلة أو لقمة سائغة، ولكنه دافع عن نفسه بجد واجتهاد وقدم الأدلة والأسانيد التي تثبت عقيدته وتنفي عنه الاتهامات الزائفة التي ألصقها به قادة اليهود وحاولوا تثبيتها بشهود زور. وقدم أسانيد مقنعة وجادة لكل من لديه انفتاح على الحق والكلمة ومن لديه قدرة على استيعاب الأمور بطريقة موضوعية وحيادية. وقد ساهمت حججه في إثارة قادة اليهود ضده لأنه بمنطقيته وعمقه ودرايته بالكلمة كشف كل كذبهم ورياءهم.

٢- لم يحاول أن يتهرب من الموقف بدافع الخوف أو الرهبة من كثرة المعترضين وتكتلهم عليه وهو يقف وحيدًا. وأيضًا لم يحاول الالتفاف على المبادئ الواضحة والصريحة التي كان مقتنعًا بها وينادي بها ويعلنها، ولم يلجأ إلى التخلي عن أمانته بدافع الهروب من المصير المحتوم أمامه من إساءة ورجم بل وموت أيضًا. فلقد فضَّل استفانوس أن يموت واقفًا وكان أمينًا إلى الموت لم ينكر سيده أو يتنكر له، ولم يرهب الموت الذي كان ينتظره

في حالة الثبات على الموقف.

٣- لقد قابل الكراهية والعنف والظلم الذي وجه له بمحبة وغفران حقيقيين. فعندما نرى توجه قادة اليهود نحوه ابتداء من مجادلته ثم تلفيق الاتهامات وشهود الزور ثم تهييج الشعب عليه وخطفه إلى المجمع ثم الكراهية والحقد المتعمد تجاهه «حنقوا بقلوبهم وصروا بأسنانهم» وهي تعطي معنى أنهم كحيوانات مفترسة تريد أن تأكل الفريسة والقلب مليء بالغيظ والسخط والغضب الشديد. لقد تجاهلوا دفاعه ورجمه بالحجارة بإجراءات رجم غير قانونية والإطاحة به. كل هذه الإساءات التي وُجهت له نراه يقابلها برد فعل مغاير جدًّا لما اعتاد عليه البشر، ولم يكن توجهه مجرد كلمات جوفاء بل إحساس صادق لأن الإنسان لا يمكن أن يكون إلا صادقًا في الوقت الذي يواجه فيه الموت. ونراه لا يعبأ بما يحدث من حوله بل نراه يمتلئ بالروح القدس وينظر السماوات مفتوحة وابن الإنسان قائمًا وهم يرجمونه وهو يجثو على ركبتيه ويصرخ بصوت عظيم يا رب لا تقم لهم هذه الخطية. لقد سار استفانوس إثر خطوات سيده الذي صلى طالبًا الغفران لأجل صالبيه وقاتليه. إنه عاش فعلاً تعاليم السيد عن المحبة والغفران والتسامح حتى لأشد الأعداء دون انتظار اعتذار وتعويض عن هذه الإساءات.

٤- لقد مجَّد استفانوس المسيح في موته كما في حياته أيضًا، فكما كان استفانوس يقدم شهادة حقيقية وأمينة ومؤثرة في حياته نراه أيضًا يقدم في موته شهادة حقيقية وأمينة وأكثر تأثيرًا وإثمارًا من خلال مواجهة الموت دون تخاذل أو رجوع، فكم من الذين يظلون شهودًا أمناء مادام الطريق سهل والظروف عادية ثم عندما تتعقد الأمور ويكون الموت هو ثمن الاستمرار في أمانة الشهادة يرتدُّون ويتنازلون عنها. لكن هذا الصمود أمام الموت وهذا التحدي الذي فيه انتصر استفانوس على كراهية وحقد وظلم المضطهدين قدم شهادة قوية للمسيح وصار هذا الحادث مشجعًا أكثر على الكرازة وجرأة للكارزين

على مر العصور. وقد كانت هذه الحادثة بابًا للخروج إلى السامريين والأمم والشهادة للرب في أرجاء المسكونة دون خوف الموت ودفع الثمن.

٥- انفتح قلب وذهن استفانوس حيث امتلأ بالروح القدس امتلاءً خاصًا استطاع خلاله أن ينظر السماء مفتوحة وابن الإنسان واقفًا على يمين الآب مدافعًا وشفيعًا أمام الأب وأيضًا مرحبًا ومستقبلاً لأول شهيد لأجله واجه الموت بكل جرأة وأمانة، واستطاع أن يسلم روحه إلى السيد ويصلي لأجل المضطهدين القتلة وينقل لهم صورة السماء المفتوحة بالرغم من أن هذه الكلمات جعلتهم يسدون أذانهم وكأنهم لا يريدون أن يسمعوا مزيدًا من التجديف والكفر، وانقضوا عليه ولكن بلا شك وصلت الكلمات إلى الواقفين ومنهم شاول، ووصلت هذه الكلمات إلى العالم أجمع، وكان صوت استفانوس الضحية أعلى من كل أصوات الكراهية والعنف والحجارة التي تُلقى عليه واستطاع العالم كله أن يسمع وبوضوح صوت استفانوس الذي أدان به كل من حوله من مضطهدين وكل من حوله من خائنين وخائفين وكل من حوله من مقصرين ومتراخين. إنه صوت يدين ويوبخ الكنيسة التي تخلت عن دورها بدافع الخوف ومحاولة إرضاء العالم ويدين كل مؤمن كتم الشهادة لكي يكسب بضعة أيام في هذه الحياة.

دور استفانوس في تشكيل الفكر المسيحي

جدير بالذكر أن الاتجاه الفكري الذي قدمه استفانوس في هذه العظة لم يكن مجرد أسانيد قانونية لدفع الاتهامات التي وُجِّهت له، ولم تكن محاولة إقناع القادة في ذلك الوقت بالسماح لهذا الطريق الجديد أن يعيش بشكل طبيعي في ذلك المجتمع وعدم فرض الحواجز على من يتبعوه، لكنها كانت مؤثرة بشكل عميق في اتجاه تفكير الكنيسة بشكل عام في ذلك الوقت، فلم يكن هذا الدفاع موجهًا لليهود بقدر ما قصد به انطلاقًا للتفكير المسيحي في ذلك الوقت ولم تكن الكرازة للأمم مجرد هروب من المجتمع اليهودي المضطهد بل كان توجهًا فكريًا

جديدًا لكنيسة الرسل حيث إن استفانوس في هذه العظة وضع الأعمدة الأساسية التي يرتكز عليها الاتجاه بالرسالة إلى الأمم وإلى الوثنيين وإلى العالم.

لقد برهن على أن الله في كل مكان ولا يحده شعب أو أرض أو معتقد أو تقاليد حياته، لقد برهن على أن فكر الله في كلمته وليس فيما تواتر وتناقل من مفاهيم خاطئة عن هذه الكلمة. إن فكر الله في الناموس والأنبياء فيما قصده الله وليس كما فهمه البعض من خلال نظرة ضيقة متعصبة وتفسيرات منحازة. وهذا ما عمله المسيح حيث إنه حاول تخليص وتطهير الفكر الإلهي من التقاليد الخاطئة والمنقولة والمتوارثة. لقد أظهر ما أراد الله أن يقوله وليس ما أراد الناس أن يفهموه من هذا الكلام.

وبالتالي فانفتاح الكنيسة على الأمم لم تكن مبادرة بولس الرسول بالرغم من كل ما أنجزه في هذا الأمر، فنرى استفانوس يضع بهذه العظة أمام بولس الإطار النظري لفكر الله تجاه الأمم. ولاشك أن شاول الذي كان عضوًا في مجمع كليكيا تأثر بهذا التعليم الذي قدمه استفانوس بل وشكَّل فكره تجاه الأمم وتجاه الناموس حتى إن كانت استجابة شاول لهذا الفكر قد تأخرت وقتها حتى تنضج الرسالة وتتوهج الإرسالية ويتم اللقاء بينه وبين الذي يضطهده. وأيضًا نرى أن استفانوس هو الذي نظّر فكريًّا أما فيلبس فهو الذي طبق عمليًّا. حدث هذا التنظير من خلال كرازته في السامرة وكرازته للخصي الحبشي وانطلاق الكنيسة إلى السامرة وإالحبشة.

ثانيًا فيلبس

هو اسم يوناني معناه (المحب للخيل) وقد ورد هذا الاسم ليلقب به عدة أشخاص في الكلمة المقدسة. أما فيلبس هذا فقد اقترن اسمه بالتبشير؛ حيث إن فيلبس هو من أبرز من قادهم الاضطهاد والتشتت الذي حدث في أورشليم إلى التبشير في خارج اليهودية، فهو أول من خرج إلى السامرة لكي يحقق إرسالية السيد. وما يسجله لوقا عنه يشعرك بأنه شخص كانت الكرازة هي المهمة الأساسية في حياته، وكان لكرازته نتائج وثمار رائعة في السامرة ثم توجه

جنوبًا بقيادة الروح إلى الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة ليبشر الخصي الحبشي ثم وُجد في أشدود، ثم قاده الروح ليبشر جميع المدن التي تقع في الطريق من أشدود إلى قيصرية التي استقر فيها مؤخرًا.

لوقا يضع أمامنا تقريرًا عن خدمة فيلبس الكرازية في موقفين: الأول هو الكرازة لأهل السامرة. كانت مدينة السامرة إحدى مدن المملكة الشمالية إسرائيل وكانت عاصمتها وقد بناها الملك أخآب بن عمرى في القرن التاسع قبل الميلاد التي هي بلدة نابلس الحالية، ومعنى اسمها مكان المراقبة وقد اختلف المفسرون على كون المدينة التي بشر فيها فيلبس هي ذات المدينة العاصمة السامرة أم أن المدينة التي بشَّرها لم تكن هي العاصمة نفسها ولكن كانت مدينة أخرى تابعة للسامرة.

ولكن سواء كانت السامرة أم مدينة أخرى فنستطيع أن نرى في هذا الجزء من التقرير عن خدمة وعمل فيلبس في السامرة تعاليم رائعة لنا ككنيسة وكخدام وكمؤمنين من خلال أع ٤ – ٨.

«فالذينَ تشَتَّتوا جالوا مُبَشِّرينَ بالكلِمَةِ. فانحَدَرَ فيلُبُّسُ إلى مدينةٍ مِنَ السّامِرَةِ وكانَ يَكرِزُ لهُمْ بالمَسيحِ. وكانَ الجُموعُ يُصغونَ بنَفسٍ واحِدَةٍ إلى ما يقولُهُ فيلُبُّسُ عِندَ استِماعِهِمْ ونَظَرِهِمُ الآياتِ التي صَنَعَها، لأنَّ كثيرينَ مِنَ الذينَ بِهِمْ أرواحٌ نَجِسَةٌ كانَتْ تخرُجُ صارِخَةً بصوتٍ عظيمٍ. وكثيرونَ مِنَ المَفلوجينَ والعُرجِ شُفوا. فكانَ فرَحٌ عظيمٌ في تِلكَ المدينةِ».

الكرازة للسامرة كانت بين شعب لديه تراث ديني ومعرفة بيهوه حتى لو كانت هذه المعرفة متأثرة بالموقف من اليهود ولكن كانوا تحت سطوة سحر سيمون الذي كان يدهشهم ويتبعه الصغير والكبير منذ زمن طويل. وكانت الكرازة هناك بشكل جماعي وعلني فكان فيلبس يعظ ويتكلم عن الأمور المختصة بيسوع والملكوت للجميع.

وفي الموقف الثاني نجد فيلبس يقوم بالكرازة الفردية وإعلان يسوع المسيح والملكوت

لشخص واحد بطريقة شخصية وهو الخصي الحبشي فيأتي تكليف الرب لفيلبس بالذهاب إلى الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة التي هي برية.

هناك غزة القديمة والتي خربها المكابيون سنة ٩٣ ق.م وهي بعيدة عن البحر، ولما أُعيد بناؤها تم ذلك بجوار البحر وكانت غزة القديمة تبعد عن الجديدة بميلين ونصف الميل، وقوله «التي كانت برية» يشير إلى غزة القديمة الخربة، وكانت غزة القديمة توجد على طريق مصر الذي أتى منه الخصي الحبشي .

وكان هدف هذا التكليف هو إجراء مقابلة تتم فيها الكرازة إلى الخصي الحبشي وقد كانت مقابلة رائعة وملهمة لكثير من الأفكار التي تعطينا تعاليم هامة عن عمل الله سواء لجماهير أو لأفراد سواء لمستويات اجتماعية عادية من الناس أم للشخصيات ذات المستوى الاجتماعي الرفيع. ويبدأ من سفر إشعياء الذي كان يقرأه الخصي الحبشي ويسأله عن إدراكه لما يقرأ-علمًا بأن السامريين لا يقبلون نبوة أشعياء- ومن هنا بدأ بهذا المدخل لكي يصل به إلى يسوع.

ثم خطفه روح الله ليوجد في أشدود وبشَّر في الطريق من أشدود إلى قيصرية على امتداد ٢٠ ميلاً (أع٨: ٤٠) «وأمّا فيلُبُّسُ فوُجِدَ في أشدودَ. وبَينَما هو مُجتازٌ، كانَ يُبَشِّرُ جميعَ المُدُنِ حتَّى جاءَ إلى قَيصَريَّةَ.»

وبعدها نرى أن فيلبس مكث في قيصرية ولا نسمع عنه إلا بعد فترة ليست قليلة في أعمال ٢١: ٨ «ثُمَّ خرجنا في الغَدِ نَحنُ رُفَقاءَ بولُسَ وجِئنا إلى قَيصَريَّةَ، فدَخَلنا بَيتَ فيلُبُّسَ المُبَشِّرِ، إذ كانَ واحِدًا مِنَ السَّبعَةِ وأقَمنا عِندهُ». في قيصرية حيث كان بيته مفتوحًا للرب وللإخوة وللعبادة.

من خلال التأمل الهادئ في ما قام به الشماس فيلبس نجد أنه يعطي لنا مبادئ للشماس

المبشِّر والمسيحي الشاهد المؤثِّر في بعض ما سجله عنه لوقا في هذا الجزء ويمكننا أن نستخلص أهم المبادئ التي شكلت حياته وخدمته في هذه المبادئ:

١- طاعة الروح القدس

لقد أطاع فيلبس روح الله في قيادته له ولم يكن هذا بالأمر الهين حيث إن ما طُلب منه لم يكن أمرًا عاديًا حيث إن الرسالة كانت «ثُمَّ إِنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ كَلَّمَ فِيلُبُّسَ قَائِلًا: «قُمْ واذهَبْ نَحوَ الجَنوبِ، علَى الطريقِ المُنحَدِرَةِ مِنْ أورشليم إلى غَزَّةَ التي هي بَرِّيَّةٌ». فقالَ الرّوحُ لفيلُبُّسَ: «تقَدَّمْ ورافِقْ هذهِ المَرْكَبَةَ» (أع ٢٦، ٢٩) ملاك الرب كلم فيلبس (عدد٢٦) فقال الروح لفيلبس (عدد ٢٩) خطف روح الرب فيلبس (عدد ٣٩) ملاك الرب هو أحد جنود السماء الذين استخدمهم الله كثيرًا في بداءة تأسيس الكنيسة (أع ١:١٠، ٥:١٩، ١٠:٣، ١٢:٧، ٢٧:٢٣) وكان أحد التعبيرات عن حضور الرب. وروح الله أيضًا كان يعبِّر عن حضور قوي لله في المشهد للدرجة التي نرى فيها هذا الحضور يعبر عنه في بداية القصة بملاك الرب وفي نهايتها بروح الرب.

وكانت هذه المهمة تحديًا لفيلبس حيث إنه:

- كان هناك نجاح باهر لكرازته ورسالته في السامرة، وهناك نوع من الرضى والفرح بهذا المناخ الذي استقبل به السامريون الرسالة، وأيضًا كان فيلبس يحتاج لمزيد من الوقت لتعليم وتلمذة وتدريب المؤمنين الجدد وإعداد قادة منهم، لكن جاءه الأمر أن يترك السامرة ويذهب إلى مكان آخر.
- لم يكن الطريق المنحدر من أورشليم إلى غزة سهلاً إذ كان طويلاً إلى حدٍّ ما.
- الإرسالية إلى مكان برية «صحراء» فكيف يكون الأمر بترك زحام السامريين وإقبالهم على الرسالة والذهاب إلى الصحراء حيث لا ساكن؟
- كيف يكون الأمر مرافقة مركبة وزير؟ فهل يمكن الاقتراب إليه والتحدث معه ومخاطرة

اقتحام موكب وزير؟ هل هناك ضمان لعدم التعرض لخطر رد فعل من معه لحراسته؟

كانت كل هذه الأمور تحديات يمكن أن يتذرَّع بها البعض لعدم الطاعة ولكن نجاح فيلبس ككارز كان في الطاعة الكاملة للرب ولتوجيهاته ولترتيبه للخطة الكرازية بتفاصيلها، فلم تُعلن المهمة بكل تفاصيلها وأهدافها مرةً واحدةً لكن كانت تُعلن في خطوات متتالية وكان فيلبس طائعًا لكل خطوة.

٢- كان التبشير مادته الكلمة ومحوره المسيح

الذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة وفى العدد الخامس كان فيلبس يكرز لهم بالمسيح. لقد كانت الكلمة هي المادية الكرازية والمسيح هو مركز الكلمة والرسالة. وفي ملاحظة ما كان يحدث مع البعض مثل فيلبس في العدد ٧ «لأَنَّ كثيرينَ مِنَ الذينَ بِهِمْ أرواحٌ نَجِسَةٌ كانَتْ تخرُجُ صارِخَةً بصوتٍ عظيمٍ. وكثيرونَ مِنَ المَفلوجينَ والعُرجِ شُفوا» فهناك آيات كانت تحدث مثل خروج الأرواح الشريرة وشفاء المرضى لكن لم تكن هذه الآيات أو المعجزات محور الكرازة أو رسالتها ولكن استطاع مؤمنو الكنيسة الأولى أن يفرقوا بين هدف الكرازة الأصيل وهو توصيل الكلمة ومركزية المسيح وبين الأمور الثانوية التي أعطاها لهم السيد لتدعيم العمل التبشيري، فلم تكن المعجزات والآيات مركز التفكير والإعلان على حساب جوهر الكرازة والتبشير، فقد كانوا يكرزون بالمسيح وليس بالآيات والمعجزات وكانت الدعوة لقبول الكلمة وليس للاستمتاع وإشباع الفضول بالجري وراء كل ما هو فوق طبيعي وهذه علامة مهمة جدًّا من علامات تفوق الكرازة والتبشير في العصر الرسولي رغم كثرة الأعمال المعجزية والآيات التي رافقت خدمتهم لكنهم استطاعوا أن يديروا الأمر بشكل دقيقٍ وواعٍ.

كثيرا ما نسمع ونقرأ ونشاهد في هذه الأيام الاستغلال السيئ لكل ما هو فوق طبيعي الحقيقي منه والمزيف في شرود الفكر عن الكلمة وعن المسيح والالتصاق بكل ما هو غريب، وعندما لا يوجد هذا الشيء الغريب يفتر الإيمان وتضعف الحياة بل والأخطر من ذلك أن مثل

هؤلاء الأشخاص الذين يتعلقون بكل ما يعتقدون أنه فوق طبيعي يجرون وراءه في أي مكان وفي أي معتقد حتى لو كان الفكر الذي يحمله بعيدًا ومتنافيًا مع الحق الكتابي في الكلمة المقدسة.

٣- الاستعداد الجيد

بالرغم من أن تكليف فيلبس لهذه المهمة كان دون سابق إعلان أو إنذار لكي يأخذ من الوقت ما يكفي لكي يهيئ ويعد نفسه لهذه المهمة سواء في الإرسالية إلى السامرة أو في لقائه مع الخصي الحبشي لكننا لاحظنا أن فيلبس كان لديه الاستعداد الجيد والكافي ليس فقط لطاعة المهمة بل أيضًا أظهر استعدادًا وجاهزية لأمور أخرى:

١- إلمام جيد بكلمة الله حيث إنه كان مدركًا وواعيًا للجزء الذي كان يقرأ فيه الخصي الحبشي وهو جزء من سفر إشعياء الإصحاح ٥٣ واستطاع بدراية ووعي للكلمة المقدسة أن يشرح له هذا الجزء وأن يقود أفكاره انطلاقًا من هذه النبوة إلى المسيح كمحقق ومتمم لنبوات العبد المتألم، واستطاع أن يجيب على سؤال الخصي عن من يتكلم النبي؟

٢- كان لديه حكمة لاختيار المدخل المناسب لكي يكون مقدمة الحوار وكان مدخلًا مناسبًا أجاب عليه الخصي إجابة أتاحت الفرصة للحوار حيث سأله أتفهم ما تقرأ؟ ولم تكن عبارة غير مهذبة لكنها كانت تحمل الرغبة الجادة في تقديم العون والمساعدة لفهم هذه الكلمات كما يوضح المعنى الأصلي لكلمات السؤال.

٥- الاستعداد الجيد لتقديم تعليم مقنع، ولم يسجل لنا لوقا ما هو مضمون الحديث لكن يبدو من سؤال الحبشي عن إمكانية المعمودية أنه قدم له تعليمًا متكاملًا عن الإيمان بالرب يسوع كابن لله والمعمودية المسيحية وأمور أخرى جعلت الخصي يتمتع بفرح الخلاص الذي لم يكن نشوة عاطفية بقدر ما كان تعليمًا اخترق الذهن والقلب والإرادة فخلق فرحًا وسعادةً لقلب وعقل هذا الخصي.

٨-ظهر أيضًا الاستعداد الجيد في أننا رأينا كيف اختلفت الطرق والأساليب لكن الهدف كان واحدًا ما بين الكلمة والآيات. تنوعت المداخل الكرازية لكن كانت الرسالة واحدة، اختلف الأشخاص المتلقون لكن الحصاد كان متطابقًا ما بين وزير وشعب عادي، ما بين باحث عن الحق وآخرين غير مبالين وهذا يؤكد علي:

١- ضرورة فهم المتلقين للرسالة لكي نختار المدخل المناسب والطريقة المناسبة لتقديم الأخبار السارة.

٢- التنوع والإبداع في طريقة التقديم هو لصالح العمل والجمود والقولبة تضر بالعمل ولا تعطي أفضل النتائج.

٣- تختلف الطرق والمداخل والخلفيات والمواقف لكن تبقى الرسالة والهدف دون تغيير أو تحوير. إنها في كلا الموقفين الأمور المختصة بيسوع والملكوت من خلال الكلمة.

٤- الاهتمام بالعمل الفردي كما نهتم بالعمل الجماهيري وإعلان يسوع من خلال المناسبات العديدة التي نرافق فيها أفرادًا مثل العمل أو السفر أو أوقات الانتظار.

٥- إن ما يعمله الروح القدس في الخصي الحبشي هو ما عمله في السامريين، فمع اختلافهما لكن الروح الواحد يغير الكل دون استثناء ويعطي الجميع فرح الحياة الجديدة وبهجة الميلاد الثاني.

٤- التثقل بالكرازة

يوضح لنا لوقا من خلال التقرير الخاص بكرازة فيلبس أن الكرازة عند فيلبس لم تكن مجرد مهام خاصة أو فترات استثنائية في برنامج حياته، بل نرى أنه كان متثقلًا بالكرازة بشكلٍ مستمر، وكانت الكرازة هي التوجه الرئيسي الذي يحكم حياته ابتداءً من أورشليم ثم التشتت إلى السامرة والكرازة للسامريين، ثم مهمة خاصة في الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة التي

هي برية، ثم في أشدود إلى قيصرية. لقد كانت الإرسالية الكرازية هي أسلوب حياة.

لقد سمح الرب لفيلبس أن يوجد في أورشليم حيث الكنيسة المركزية ومركز الإشعاع الكرازي للدائرة المحيطة من اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض، ثم سمح له بأن يتواجد في السامرة حيث الكرازة لمدن وقرى السامريين وجني الثمار المباركة وعبور الحواجز لكي تتحقق الخطة العظمى لله في وصول الخبر السار وقبوله في خارج نطاق أورشليم، ثم يسمح له الرب بأن يتواجد في الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة ليبشر الخصي ويذهب الخصي بالبشارة إلى الجنوب ويذهب فيلبس إلى الشمال حيث أشدود التي كرز فيها. وفي الطريق من أشدود إلى قيصرية كان يبشر كل المدن والقرى التي مر خلالها.

إن القضية الهامة هنا أن الله يسمح لنا بالتواجد في أماكن مختلفة مرات بطريقة طبيعية وعادية ومرات أخرى يسمح الله أن نوجد فيها بطريقة قد تكون غريبة ولا نتوقعها، مرات يكون باختيارنا ومرات لا نكون في موضع اختيار، وهنا يريد الله أن نكون بركة ورسالة في أي مكان نوجد فيه.

الفصل الثاني

المرأة الشماسة فيبي

الملاحظ لتاريخ الخدمة في الكنيسة المسيحية أن خدمة المرأة بدأت مع بداية الرسالة منذ أن كان المسيح على الأرض، وقد شاركته نساء كثيرات وأيضًا تميزت خدمة المرأة في الكنيسة الأولى بشكل واضح، وكانت جنبًا إلى جنب مع خدمة الرجل، وقد امتلأ الكتاب المقدس بنماذج من النساء الخادمات.

من بين الشخصيات النسائية في العهد الجديد تأتي شخصية الشماسة فيبي التي يوصي بها بولس الرسول في نهاية الرسالة إلى أهل رومية الإصحاح السادس عشر والآيتين الأولى والثانية «أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا. كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم. لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا».

فيبي اسم لامرأة يونانية يعني «بهية ولامعة» أو «منيرة ومضيئة» ويُعتقد أنها كانت من أصل وثني لأن فيبوس هو اسم إلهة وثنية لكنها اعتنقت المسيحية وكانت امرأة كورنثية من كنخريا أحد الموانئ الشرقية لكورنثوس وكانت امرأة ذات شخصية قوية ومؤثرة وكانت

لها أنشطة تجارية واسعة مما جعلها ميسورة الحال حيث يُعتقد أنها كانت غنية وهي التي حملت الرسالة التي كتبها بولس من كورنثوس إلى رومية في إحدى رحلاتها التجارية إلى رومية. ويوصي بولس أهل رومية بأن يقبلوها ويحسنوا الترحيب بها ويعاملوها ليست كغريبة بل كأخت لبولس ولهم جميعًا ويرحبوا بها في الكنيسة كأخت وشريكة خدمة وأن يساعدوها في كل ما تحتاج إليه من أمور تيسر لها مهمتها.

فيبي الشاهدة

لقد كانت حياة فيبي الشاهدة في كورنثوس لها تأثير عظيم في خدمتها حيث إن بولس كان متأثرًا بسمو أخلاقها ونبل تصرفاتها. ومثل هؤلاء النسوة كن ذوات نفع عظيم للخدمة والكنيسة، كانت كورنثوس في ذلك الوقت مشهورة بأعمال الخلاعة والفجور والإباحية حتى صار التعبير «يتصرف كأهل كورنثوس» يصف السلوك الإباحي الفاسد أخلاقيًا، وكانت المرأة الكورنثية سيئة السمعة حيث كانت هناك المعابد الوثنية التي تشتهر بخلاعة وعهارة النساء وخصوصًا في المناطق الساحلية التي توجد فيها الموانئ مثل كنخريا. يقول القس منيس عبد النور عن كورنثوس في كتابه كنيسة الله «إنها كانت مركزًا لعبادة الزهرة - ربَّة الشهوة - والتحق بهيكلها ألف من الراقصات اللواتي **كنّ ينحدرن ليلًا** لإغواء الناس وجذبهم إلى حياة الفساد. ونتيجة لهذه المؤثرات الأربعة انحدر أهل كورنثوس إلى كثير من الخطأ والشر، واشتهرت المدينة بالخلاعة حتى أصبحت مضربًا للمثل، فإذا قالوا «عاش فلان في كورنثوس» كانوا يعنون أنه فاجر، وإذا قالوا «امرأة كورنثية» يقصدون أنها سيئة الأدب والسيرة».

ولكن في كورنثوس وفي كنخريا وُجدت امرأة اسمها فيبي كانت علامة مضيئة للشهادة المسيحية النقية والحياة التقية قدمت حياة وخدمة تمجد الرب وتخدم الكنيسة وتلهم الأجيال.

فيبي الشماسة

يلقبها بولس بأنها خادمة كنيسة كنخريا، ويستخدم مصطلحًا يونانيًّا هو «دياكونوس» أي الكلمة التي تُترجم «شماس» وخصوصًا عندما يرتبط هذا المصطلح بكنيسة محلية وقد أكدت الترجمات المتنوعة للنصوص الأصلية على هذا المعنى، ولا ينفي أحد هذا المعنى إلا من يعترضون من الأساس على شموسية المرأة -ويمكن للقارئ الرجوع إلى الباب الأول للتعرف على الآراء المتعددة في قضية شموسية المرأة – وبذلك يؤكد الشراح أن فيبي كانت تحمل مسئولية في الكنيسة المحلية في كنخريا وكانت شموسيتها وظيفة كنسية رسمية في تلك الكنيسة، وكانت أدوار الشمامسة النساء في ذلك الوقت هي العناية بالفقراء والمرضى والغرباء والاهتمام بالنساء الوافدات إلى المسيحية حيث تعميدهن ومعموديتهن.

وبالتالي عندما يقدمها بولس الرسول لكنيسة رومية يقدمها بدورها الكنسي الرسمي وهو أنها شماسة الكنيسة.

فيبي المساعدة

كما كان دور استفانوس الدفاع عن الإيمان وتقديم الحجج المقنعة من خلال فهم واع للكلمة المقدسة وأيضًا اهتم فيلبس بالتبشير وقد برع في هذا الدور وتميزت خدمته وحياته به، ونرى أيضًا الشماسة فيبي التي خدمت في كنخريا وتميزت في مساعدة الآخرين حتى إن بولس الرسول نفسه يشهد عن مساعدتها له. «لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا»

الكلمة اليونانية المستخدمة هنا هي Pntrona والتي تُرجمت مساعدة ومساندة هي كلمة تعني حرفيًّا من يقف بجانب شخص آخر وقت المحنة ليشدده. ويبدو أن لفيبي مقومات شخصية جعلتها معينة ومشددة لكثيرين حتى لبولس أيضًا من خلال شخصيتها القوية وعلاقاتها المتعددة، ولكن أيضًا هناك مقومات مادية حيث إنها كانت غنية مما جعل لها خدمة اجتماعية للمحتاجين والفقراء وتسديد الإعواز للكثيرين في ذلك الوقت، فقد

أعانت الفقراء وعاونت الغرباء وكانت لها خدمة اجتماعية واسعة النطاق وربما كان المؤمنون يجتمعون في بيتها في كنخريا نظرًا للاضطهاد في كورنثوس (أع ١٨: ١٢).

يذكر الأب متى المسكين في تفسيره لرسالة رومية نقلًا عن العالِم شاف هذه العبارة تعليقًا على فيبي ودورها في الخدمة «إن نساء مثل هذه كن في كنائس الشرق ذوات نفع جزيل لأن التفرقة الاجتماعية بين الرجال ولنساء ألزمت الكنيسة بالالتجاء إلى مثل هاته النسوة ليخدمن بني جنسهن ولكن الشخصيات الفذة من النساء فاقت وتخطت دورهن في الاختصاص فها هي فيبي تعمل عمل الرجال وليس كل الرجال فامرأة تمخر عباب البحر المتوسط من شرقه إلى غربه في سفينة شراع تحمل رسائل وبضائع هو عمل لا يقوى عليه كثيرون من الرجال».

لذلك يوصي بولس أهل رومية أن يقبلوها في الرب أي كأنها قادمة باسم المسيح الذين هم فيه وهي فيه أيضا كما يحق للقديسين أي أن تنال استحقاق القديسين المكرسين المفرزين للرب الذين خصصوا أنفسهم لخدمة الرب في الكنائس المختلفة.

إن التنوع الذي شمله خدمة الشمامسة الثلاثة يفتح الباب متسعًا أمام الإبداع والتنوع والتجديد في مجالات خدمة الشمامسة لكي تشمل مناحي كثيرة في كنيسة اليوم فلم يكونوا نمطيين مقلدين لكنهم تنوعوا فأبدعوا ما بين الدفاع عن الإيمان والتبشير الفردي والجماعي ومساعدة الآخرين. ومازالت خدمة الشموسية تنتظر من كنيسة اليوم مجالات أكثر وأشمل لتُضاف إلى رصيد خدمة الكنيسة على مر العصور.

الباب الرابع:

إحياء وتفعيل
خدمة الشموسية

من الأهداف التي دفعتني للبحث والكتابة في موضوع الشموسية محاولة التقييم لما هو واقع وموروث على مدى قرون ماضية ومحاولة التقييم المحايد للوضع الحالي لهذه الخدمة التي أبتغي من خلالها إعادة إحياء وتنشيط وتوجيه خدمة الشموسية لكي تنطلق لآفاق أعظم وأكثر فاعلية في حياة المجتمع والكنيسة العامة والمحلية. وفي هذا الإطار أقدم بعض مكامن الضعف التي أثرت بشكل كبير على هذه الخدمة ثم أقدم مبادئ عامة للبحث والحوار والتجريب والتقييم، ثم أقدم في الختام محاولات عبارة عن نماذج عملية استرشادية للاطلاع والتقييم والاستفادة يمكن أن تساهم في تنشيط أفكارنا تجاه الإحياء والتفعيل. وأرحب بكل الأفكار والاقتراحات التي تساعد في تحقيق هذا الهدف.

الفصل الأول

نظرة على واقع خدمة الشمامسة في كنيستنا اليوم

مما لاشك فيه والكثيرون يرون بوضوح أن دور الشمامسة في كنائسنا الإنجيلية في هذه الأيام ضعيف جدًّا وتأثيرها في نمو الخدمة هو تأثير خافت مما جعل الإقبال على هذه الخدمة ضعيف جدًّا. وفي محاولة الوصول إلى أسباب هذه المشكلة؛ فهناك أكثر من ملاحظة قد نرى في بعض الكنائس، إحداها أو بعضًا أو كلاً من هذه الملاحظات التي أدت أن تصل هذه الخدمة إلى الحالة الراهنة في هذه الأيام، وقد آثرت أن أدع هذه الملاحظات في بداية دراستي لخدمة الشموسية حتى نستطيع أن ندرك الموقف الحالي لكي نكون جادين ومهتمين بالدراسة الواعية وبذل الجهد والعمل على استعادة ذلك الدور الهام الذي يمكن أن تساهم به خدمة الشموسية في نمو الخدمة في كنائسنا العامة والمحلية داخل الكنيسة وخارجها. وهذه الملاحظات ليست أفكارًا نظرية مجردة لكنها واقع فعلي ملموس يمكن للملاحظ العادي رؤيتها بجلاء وهي كالتالي:

١- البعض يصنِّف الخدمات الكنسية تصنيفًا هرميًّا، وكأن خدمة الشموسية أقل أهمية من خدمة الشيوخ المدبرين، وخدمة الشيوخ المعلمين أهم من خدمة المدبرين وبالتالي تأتي خدمة الشموسية في قاع التصنيف وهذا تفكير خاطئ تجاه هذه الخدمة، فليس هناك

خدمة أهم من الأخرى ولا وظيفة كنسية أقل من الأخرى بل التصنيف يتم على أساس اختلاف المواهب والقدرات والوزنات التي يعطيها الله لأعضاء الكنيسة، وكل عضو يوظف موهبته في مجال خدمة معينة. فالتصنيف ليس رأسيًّا بل أفقيًّا.

٢- اعتاد البعض خطأ أن يهوِّن من المواصفات التي يجب أن تتوافر في العضو ليكون شماسًا مقابل مواصفات الشيخ أو القسيس، لكننا بالرجوع إلى الكلمة المقدسة ومقارنة المواصفات نرى أنها متساوية ومتوازية وليس هناك تهاون في أي من هذه الخدمات من حيث المواصفات التي لابد أن يتميز من يتقدم إليها.

٣- البعض يُسنِد هذه الوظيفة لصغار السن وكأن الشموسية للصغار والمشيخية للكبار دون أي سند كتابي لهذا الأمر.

٤- البعض يتعامل معها كأنها «محطة انتظار» حتى يأتي الوقت لتتم رسامة الشماس شيخًا وبالتالي يعتبرها خطوة في طريق المشيخة وهذا يعكس طريقة تفكير خاطئة في هذه الخدمة.

أنا لست ضد أن يترشح الشماس لخدمة المشيخة ولكن ما اعتبره خطأ هو أن يتم التعامل مع هذه الخدمة بأنها ليست ذات أهمية، لذلك أنا أنتظر خلال الوقت أو حتى من خلال نجاحي كشماس أن (أترقى) إلى خدمة المشيخية مع التحفظ على كلمة (ترقية) كما سبق التوضيح.

٥- بحسب دستور كنيستنا فإن الواقع يخالف الدستور فخدمة الشمامسة يقوم بها الشيوخ، وبالتالي فالشمامسة لا دور لهم وأحيانًا يصبحون بلا عمل.

٦- عدم تفعيل مجلس الشمامسة الذي يمكن أن يكون له رئيس وأمين للصندوق واجتماعات بصفة دورية لمتابعة الخدمة.

٧- غياب دور التأديب الكنسي في التعامل مع قضايا هذه الخدمة ومن يقومون بها وهذه ليست مشكلة تضر بالشموسية فقط بل نرى تأثيرها على أعضاء الكنيسة كافة.

٨- عدم تقديم التعليم الجيد المدقق والمتأنى للتعريف بهذه الخدمة لكل من يترشحون لها ومن يختارون هؤلاء الشمامسة «المنتخبون» وبالتالي نجد أن العضو يختار شماسًا والشماس يُرسم دون أن يعرف جيدًا ما هي طبيعة هذه الخدمة ومجالاتها.

٩- وجود فجوة بين الشمامسة ومجلس الكنيسة حيث إنهم لا يعرفون ما يدور في المجلس وبالتالي لا يعرفون الخطة العامة لاتجاه الخدمة في الكنيسة وأهدافها، ولذلك يجب دوام التواصل بين مجلس الكنيسة والشمامسة وأن يعهد إليهم المجلس أعمالاً معينة ويشاركهم الرؤية والهدف ويتابع خدمتهم.

١٠ - البعض يستخدم وظيفة الشموسية كترضية لمن لا يصلحون في خدمة المشيخة.

١١- البعض يختار الأشخاص الذين يرسمون في هذه الخدمة بطريقة تراعي القبلية والأنصبة العائلية أكثر من كفاءة المتقدمين لها (وخصوصًا في كنائس القرى).

١٢- البعض يتجاهل إرادة الشعب في الاختيار وتصبح الرسامة شكلاً من أشكال التعيين وبالتالي لا تجد تضافرًا شعبيًّا بين المختارين وباقي الأعضاء.

١٣- غياب الرؤية العامة المشتركة التي يمكن أن توحد وتوجه عمل الشمامسة على المستوى المحلي في الكنيسة المحلية ليشترك فها كل شمامسة الكنيسة وأيضًا على المستوى العام لكي تشترك فيها جماعة الشمامسة في الكنيسة العامة.

كل هذا يُحتِّم علينا تناول هذا الموضوع بشكل جاد وأن ندرسه بطريقة كتابية وواقعية للوصول إلى تصور واضح عن هذه الخدمة وتفعيل هذا التصور في خدمة مؤثرة ومثمرة.

الفصل الثالث

نموذج استرشادي لمنهاج وصفه السيد المسيح لخدمة الشموسية

«خدمة الإنسان»

متى ٢٥: ٣١ – ٤٦

«وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ.

ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ، لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي. حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضًا قَائِلِينَ: يَارَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطْشَانًا أَوْ غَرِيبًا أَوْ عُرْيَانًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ فَيُجِيبُهُمْ قَائِلاً: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍأَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ».

يحفل المجتمع المصري لتحديات كثيرة، ومن أهم هذه التحديات مشاكل الفقر؛ حيث إن نسبة من هم تحت خط الفقر في مصر - بحسب تقرير جهاز التعبئة والإحصاء المصري- تصل إلى ٢٥ ٪ وتصل هذه النسبة إلى ٥٠٪ في الصعيد.

ويعرَّف «الفقر» بأنه حالة اقتصادية تتمثل في نقص كل من المال والضروريات الأساسية لحياة ناجحة مثل الغذاء والماء والتعليم والرعاية الطبية. وأيضًا ارتفاع متنام لنسبة البطالة في وسط شباب المصريين. كما أن نسبة الأمية في مصر ٣٠ ٪ ناهيك عن نسبة المرضى بالأمراض الخطيرة التي تعطل صاحبها عن العمل أو التعليم، وبالتالي فإن المجتمع المصري يواجه ثلاث من أكبر المشكلات وأخطرها على أي مجتمع وهي الجهل، الفقر، المرض.

ويتميز المجتمع المصري بنسبة لا يمكن إهمالها من التطرف والطائفية وعدم قبول الآخر المختلف وخصوصًا الاختلافات الدينية والطائفية، فالمجتمع يحتاج إلى الجهود الكبيرة لكي تعمل على الخروج من نفق التطرف والفقر والمرض والجهل وذلك من خلال قناتي التنمية والتنوير التي لا يجب أن تكون أشكالاً نظرية فقط، لكن لابد من ترجمتها إلى واقع عملي منظور متجسد على الأرض، ولا يجب أن يكون الاحتياج الذي يعانيه المجتمع المصري مادة للاستغلال الديني أو الطائفي لكن لابد للعمل والخدمة التي تتعامل مع هذه الاحتياجات بحيث يكون الدافع والغاية هو خدمة الإنسان لأنه إنسان قبل وبعد، ودون أن تكون وسيلة

للحصول على منافع شخصية أو مصالح طائفية أو دينية ضيقة.

وبالتالي فهناك ثلاثة مجالات يجب على الكنيسة أن توظف جهودها لخدمتها -وخصوصًا خدمة الشموسية- للواقع المحيط من حولها لتسديد هذه الاحتياجات وهي الجهل، الفقر، المرض.

في متى ٢٥ لم يكن الكلام موجهًا فقط لخدام الكنيسة من الشماسية لكنه كان موجهًا للجميع- لكل أعضاء الملكوت الذين ترجموا هذه التعاليم إلى واقع فعلي وكل الذين تجاهلوا هذه الأفعال التي تهدف لخدمة الإنسان كإنسان في ظروفه المتنوعة.

ونستطيع أن نسمع هذا الصوت المدوي لكنيسة اليوم عندما يقول لها المسيح عن ضرورة التوجه لخدمة المجتمع المحيط، ويضع المسيح أمام الكنيسة كنموذج للخدمة المجتمعية مجالات متعددة يجب أن تعطيها الكنيسة اهتمامًا جادًّا ويكون الشمامسة هم قادة العمل في هذه المجالات وهي كالتالي:

١- كنت جوعانًا:

إن المسيح هنا يفتح عيون الكنيسة إلى الجوعى من حولها وهم فئة الفقراء المحتاجين الذين هم بلا عمل يعانون من البطالة وأيضًا الجوعى والذين لا يتوفر لهم القوت الضروري. إن أعضاء الملكوت عليهم مسئولية إطعام الجوعى ليس فقط من خلال تقديم الطعام وخدمات الإغاثة بل من خلال تعليم الحِرَف وإتاحة فرص للعمل وكيفية تنفيذ مشروعات صغيرة.

٢- كنت عطشانًا:

إن قضية العطش هنا تشمل العطاش ماديًّا وأيضًا معنويًّا، وهي تضع أمام عيون الكنيسة مسئوليتها تجاه الذين لا تتوفر لهم المياه الصالحة وأيضًا العمل على توصيل المياه للمنازل وأيضًا للعطاش إلى الأمل والمحبة الحقيقية فكم من الناس من حولنا يعطشون للسؤال عنهم والاهتمام بهم والاقتراب منهم والذين يعطشون للأخبار السارة ونوال خلاصهم وذلك على

المستوى الروحي لحياة الإنسان.

٣- كنت غريبًا:

هذا المجال يفتح أمامنا قضايا تهم الكثير من الناس الذين لا يعيشون في أوطانهم، أو حتى الذين يعيشون في أوطانهم لكنهم لا يتمتعون بسبب ظروف مختلفة بحقوقهم في هذا الوطن، قد يكون لأجل تمييز أو لأجل ظروف سياسية أو دينية وهذا المجال متسع لأنه يشمل خدمة اللاجئين والأجانب وخدمة المغتربين وأيضًا المجموعات العرقية والأقليات المضطهدة والذين يعيشون في وحدة بسبب هجرة الآخرين أو ظروف اجتماعية أخرى، وأيضًا قضايا المرأة التي كثيرًا ما تجردها مجتمعات كثيرة من حقوقها كمواطنة بل وكإنسان. هناك أيضًا قضايا ومشاكل المطلقين وخدمة الملاجئ.

٤- كنت عريانًا

الكساء أيضًا من الاحتياجات الضرورية للإنسان، وأحيانًا يمثل قضية أهم من قضايا أخرى لأنها لا تخص فقط احتياج الشخص نفسه لكنه احتياج أمام المجتمع فلا هو يريد أن يعيش عريانًا ولا يجب أن يراه المجتمع عريانا وبالتالي يضع مسئولية تجاه المشردين وأطفال الشوارع والمهجرين والذين يمرون بظروف كارثية من الزلازل أو البراكين أو السيول.

٥- كنت مريضًا:

المرض من أشد أعداء الإنسان الذي يجعله ليس فقط متألمًا لكنه أيضًا عاجزًا عن العمل وذلك يترتب عليه احتياجات متعددة، وهذا المجال يضع أمامنا خدمة التوعية الصحية وخدمات الرعاية الصحية وأيضًا خدمة المستشفيات والتمريض ومعونة ذوي الأمراض الخطيرة وأيضًا رعاية المسنين والمرضي والمدمنين وأيضًا خدمة قطاع واسع من المجتمع وهم المعاقين.

٦ – كنت مسجونًا:

لم يتحدث المسيح عن المسجون كمظلوم أو كشخص يدفع جزاء جريمة ارتكبها لكنه أفرد اهتمامًا واسعًا به دون تفريق خاص بالجنس أو الدين أو العرق وأيضًا دون إعادة محاكمة لهذا المسجون لبيان استحقاق أو عدم استحقاقه للخدمة. هذه الخدمة تشمل السجناء ورعاية أسر السجناء وأيضًا إعادة تأهيل السجناء بعد خروجهم لدمجهم في المجتمع والكنيسة.

هذه المجالات الستة تضع أمامنا المجتمع من حولنا في احتياجه الشديد للكنيسة، وهذه المجالات تحتاج إلى عمل مشترك ليس فقط لتقديمه المعونات المادية أو العينية لكنها تحتاج أيضًا إلى صوت نبوي للكنيسة للمطالبة بالعدالة الاجتماعية والحرية والعيش والكرامة والمساواة. وبجانب هذه النداءات والمشاركة في تحقيقها يجب أن تراعي الكنيسة الفئات المتضررة من هذه المشاكل ليس كبديل عن الدولة ولكن كمعين ومشارك.

ومن الجيد أن نرى هذه الخدمة ليس فقط على المستوى المحلي لكن أيضًا عالميًّا فتتكون مجموعة من فرق العمل الكنيسة والمنظمات والهيئات المجتمعية التي تتبناها كنائس أو أفراد لخدمة مجالات متعددة في هذه الاحتياجات المتعددة ليس فقط داخل حدود البلاد التي تخدم فيها لكنها تنطلق وتعبر الدول والقارات، وهذا من منطلق إيمانهم بمسئوليتهم تجاه الإنسان أيًّا كان هذا الإنسان وفى أي مكان يوجد.

وقد قصدت أن أسرد هذه الخدمات المتنوعة التي لم تشمل كل ما يمكن عمله في المجتمع ولكن مجرد نماذج لأعمال من أعمال كثيرة يمكن للكنيسة أن تقوم بها بحسب إمكانياتها البشرية والمادية وبحسب المنطقة التي توجد فيها لكي تحقق رؤية السيد تجاه الخدمة الاجتماعية للإنسان.

الفصل الرابع

نموذج استرشادي للكنيسة المحلية «مجلس الشمامسة»

في أغلب كنائسنا يوجد شمامسة وهم الأكثر عددًا عن القسوس والشيوخ، ولكن خدمتهم شبه مبعثرة وذلك لعدم التواصل بينهم وعدم وجود رؤية مشتركة لهم توحد مجهوداتهم وتوجه خدمتهم لهدف يمكن تحقيقه وقياسه وتوجيهه على الرغم من وجود كثير من المخلصين والمكرسين المتحمسين في هذه الخدمة. ولهذا أرى أنه يلزم إعادة إحياء فكرة «مجلس الشمامسة» كالتالي:

تشكيله ومبادئ عمله

- المجلس يتشكل من جميع الشمامسة المرتسمين في هذه الكنيسة المحلية.
- تكون عضوية المجلس أربع سنوات قابلة للتجديد بحسب اختيار الجمعية العمومية للكنيسة وذلك كما يحدث في انتخاب الشيوخ لعدد محدد.
- يختارون لهم رئيسًا للمجلس ونائبًا وأيضًا سكرتيرًا وأمينًا للصندوق وتكون هذه الوظائف داخل المجلس بالانتخاب من جميع الشمامسة.

- تكون مدة الوظائف داخل مجلس الشمامسة سنتين قابلة للتجديد مرة واحدة لإعطاء الفرصة لأشخاص كثيرين للخدمة، وأيضًا قابلية التنوع للرؤى والقيادات وفي نفس الوقت نوع من التقييم للأداء وتكون الفرصة متاحة في كل هذه الأدوار للرجل وللمرأة على حد سواء.
- ويختار مجلس الكنيسة شيخًا ليكون عضوًا في مجلس الشمامسة لكي يكون حلقة وصل جيدة بين المجلسين: الشيوخ والشمامسة.
- يجتمع مجلس الشمامسة بشكل دوري يسمح بمتابعة الخدمة بشكل مناسب ويجتمع بدعوة من الرئيس أو طلب مقدم من ٢٥٪ من عدد أعضائه أو بتكليف مجلس الكنيسة أو الراعي كاجتماع خاص.
- ويكون الانعقاد قانونيًا إذا حضر نصف عدد الأعضاء على الأقل وفي حضور رئيس المجلس.
- يقدم مجلس الشمامسة تقريرًا نصف سنوي لمجلس الكنيسة.
- يجب أن يكون دوره بما يتلاءم مع تحقيق رؤية ورسالة الكنيسة كما تم الاتفاق عليها في الجمعية العمومية.
- يستعين المجلس بمن يراه من أصحاب الخبرات والقدرات والمواهب للمعاونة في تنفيذ مهامه.
- يختار مجلس الشمامسة أحد أعضائه لحضور مجلس الكنيسة ويتم تغييره كل سنتين.

المهام الموكلة لمجلس الشمامسة:

يمكن أن تنظم خدمة الشمامسة في مجالات وهي:

١- المهام المالية:

وهي عبارة عن :

- جمع التبرعات والتعهدات والتقدمات الدورية سواء الشهرية أو السنوية أو الموسمية.

- جمع التبرعات الخاصة بمشروعات الكنيسة أو باحتياج معين.

- توزيع المساعدات المالية والعينية على الفقراء والمحتاجين والذين لديهم ظروف خاصة.

- تدبير الاحتياجات المالية بالكنيسة ووضع الموازنة التقديرية للكنيسة لعرضها على المجلس الكنيسة.

- وضع اللوائح المالية للعاملين بالكنيسة والموظفين والعمال والتعاملات المادية.

- وضع الخطط والتصورات لتنمية موارد الكنيسة.

٢- المهام الرعوية:

- يساعد مجلس الشمامسة راعي ومجلس الكنيسة في رعاية الفقراء وزيارة المرضى وافتقاد اليتامى والأرامل والمحتاجين.

- التواجد مع المجربين والذين يجتازون ظروفًا خاصة من كوارث ومعاونة ومرافقة الراعي في توصيل المائدة للمرضى والذين لديهم ظروف تمنعهم من التواجد في الكنيسة.

٣- المهام الكرازية:

من أهم مؤهلات الشماس الحياة الشاهدة التي تمكنه من الكرازة بالإنجيل وتوصيل الأخبار السارة وذلك من خلال خدمة المناطق المجاورة المحرومة والقوافل الكرازية للقرى المحيطة، وأيضًا الإعداد والترتيب لأيام كرازية وأنشطة كرازية وأيضًا توصيل الكلمة المقدسة للذين لديهم ظروف خاصة تمنعهم من الحضور في مكان العبادة والاهتمام بالعمل الفردي وسط المترددين على الكنيسة والتشجيع والتدريب عليه.

٤- المهام الإدارية:

-يختص مجلس الشمامسة بمهام إدارية خاصة بالكنيسة مثل:

-الإشراف الإداري على الكنيسة وسكرتارية الكنيسة والموظفين والعمال والقاعات والمباني

الملحقة والإشراف على الممتلكات الخاصة بالكنيسة سواء كانت مباني خدمات أو قاعات أو وسائل مواصلات وأيضًا الأجهزة والآلات والمعدات والأثاث.... إلخ، وبما يشمله ذلك من الإشراف على سير بشكل أفضل بما يتناسب مع خطة الكنيسة وأهدافها وبما يحافظ وينمي موارد الكنيسة وممتلكاتها.

٥- أعمال الصيانة:

يُعهد لمجلس الشمامسة كل أعمال الصيانة الخاصة بالكنيسة ومشتملاتها والاستعانة بمن يراه مناسبًا لإنجاز هذه المهمة.

٦- أعمال أخرى:

فتح الدستور التعاون بين مجلس الكنيسة ومجلس الشمامسة بحيث يمكن أن يوكل مجلس الكنيسة لمجلس الشمامسة أيه أعمال أخرى بحسب التكليف الموجه له.

- يفكر مجلس الشمامسة في عمل خدمة اجتماعية عبارة عن نشاط أو مشروع أو جمعية أو مؤسسة أو مجموعة عمل أو أي شكل مناسب لطبيعة المكان للخدمة العامة في المجتمع للجميع دون تفريق ديني أو طائفي وذلك بعد الاتفاق مع مجلس الكنيسة.
- تقوم الكنيسة المحلية في جمعيتها العمومية ومجلس الكنيسة بإعادة النظر في هذه اللائحة كل خمس سنوات للمحافظة على شكل ومضمون يساعد على تحقيق وإنجاز العمل والخدمة دون تعويق لمسار العمل داخل الكنيسة تجاه تحقيق رؤيتها.

الفصل الخامس

نموذج استرشادي للكنيسة العامة «المجلس العام للشمامسة»

بجانب الخدمة المحلية التي يقوم بها الشمامسة في مجلس الشمامسة المحلي الخاص بكل كنيسة على حدة يمكن أن يكوّن مجلس عام للشمامسة على مستوى الكنيسة العامة سواء على مستوى المجمع أو السنودس وبرؤية عامة لعمل خدمي يخدم الإنسان ككل دون التفريق الخاص بالمذاهب أو الطوائف أو الأديان.

- يتشكل المجلس من رؤساء مجالس الشمامسة هذه الكنيسة المحلية أو من يرشحه مجلس الشمامسة للكنيسة المحلية.
- يختاروا لهم رئيسًا للمجلس ونوابًا للرئيس بحسب المناطق -ويراعى اللامركزية- وأيضًا سكرتيرًا وأمينًا للصندوق وتكون هذه الوظائف داخل المجلس بالانتخاب من جميع أعضاء المجلس.
- وتكون مدة الوظائف داخل مجلس الشمامسة العام أربع سنوات غير قابلة للتجديد

وذلك لإعطاء الفرصة لأشخاص كثيرين للخدمة وأيضًا قابلية التنوع للرؤى والقيادات وفى نفس الوقت نوع من التقييم للأداء وتكون الفرصة متاحة في كل هذه الأدوار للرجل وللمرأة على حد سواء.

- يكون هناك تمثيل لمجلس الشامسة في عضوية السنودس ليكونوا ممثلين للمجلس وأقترح عدد خمسة شمامسة يُرشحون من خلال المجلس العام على أن يكون الرئيس واحدًا منهم وأيضًا يرشح المجلس ممثلين في المجمع يكونوا أعضاء ممثلين للشمامسة في نطاق دائرة خدمة المجمع واقترح عدد شماسَين.
- يقدم المجلس العام تقريرًا سنويًّا للسنودس وللمجامع.
- يجتمع مجلس الشمامسة العام بشكل دوري يسمح بمتابعة الخدمة بشكل مناسب ويجتمع بدعوة من الرئيس أو طلب مقدم من ٢٥٪ من عدد أعضاء أو بتكليف السنودس كاجتماع خاص.
- ويكون الانعقاد قانونيًّا إذا حضر نصف عدد الأعضاء على الأقل وفي حضور رئيس المجلس أو أحد نوابه.
- يجب أن يكون دوره بما يتلاءم مع تحقيق رؤية ورسالة الكنيسة العامة كما تم الاتفاق عليها في السنودس.
- يستعين المجلس بمن يراه من أصحاب الخبرات والقدرات والمواهب للمعاونة في تنفيذ مهامه.
- يتولى هذا المجلس العام للشمامسة بعض الأعمال الهامة، وهي على سبيل المثال لا الحصر:
- خدمة مجتمعية عامة يشترك الجميع في تقديم نوع من أنواع الخدمة الاجتماعية التي

تساعد في تنمية وتطوير المجتمع المصري ويمكن الاستعانة بالنموذج رقم (١).

- الاهتمام بتنمية وتدريب شمامسة ومجالس شمامسة الكنائس المحلية وتطوير إمكانياتهم وقدراتهم ومساعدتهم على أداء أفضل.
- عمل مناهج وبرامج للمرشحين لخدمة الشموسية في الكنائس المحلية.
- إصدار مجلة ومطبوعات دراسية لتغذية أفكار الشمامسة دوريًّا.
- تشجيع الكنائس التي لا يوجد بها شمامسة على رسامة خدام لهذه الخدمة، وأيضًا تشجيع الكنائس على تشكيل مجلس الشمامسة وتفعيل خدمته.
- تبادل الخبرات بين مجالس الشمامسة وبعضها لفتح آفاق أرحب للخدمة والامتداد.

الخاتمة

أعتبر هذه الدراسة محاولة تحريك لمياه راكدة منذ سنوات كثيرة تحاول أن تفتح أذهاننا لكي نعيد الاهتمام والبحث والتطوير والتقييم لمختلف أدوات ووسائل الخدمة التي تستخدمها الكنيسة المحلية والعامة في توصيل الرسالة.

وبعد أن درست كثيرًا في خدمة الشموسية أرى أنها أداة من أدوات الخدمة الكنسية التي يمكن أن تُستثمر بشكل رائع فيكون لها أثر طيب للكنيسة في خدمتها داخل جدرانها، وأيضًا خارج هذه الجدران لتصل إلى المجتمع الذي تعيش فيه الكنيسة، فقط يحتاج الأمر منا جميعًا عدم الانغلاق أو التقولب في أشكال وأنماط جامدة متحجرة عفى عليها الزمن للخروج إلى أفكار مبدعة، كما أن روح الله الذي ألهم بهذه الفكرة هو إله خلاَّق ومبدع لكي تكون أدواتنا ووسائلنا للخدمة متواكبة مع العصر، بل وما نطمع إليه أن نسبق الحاضر بأن نكون مستعدين اليوم لخدمة الغد بوسائل تتناسب مع مقتضياته، نحتاج أيضًا إلى حوار كنسي حول هذه الخدمة فلا يجب أن ينفرد قادة الكنيسة العامة بأن يكونوا وكلاء عن الشعب وعن الشمامسة والشيوخ والقسوس والأعضاء لوضع كل ما يخص هذه الخدمة دون الرجوع إلى القاعدة العريضة من السنودسيات والمجامع والكنائس المحلية واللجان العامة والأعضاء التابعين للكنائس المحلية، بل لابد أن يكون هناك طرح لهذه القضية «خدمة الشموسية» بشكل موسَّع تسهم فيه كافة الجهات من خلال دراسات أكاديمية متخصصة ودراسات ميدانية وأبحاث تقوم بها المؤسسات المنوط بها ذلك. وتُعرض على كافة الجهات الأخرى وتُطرح لحوار كنسي موسع لكي نخرج بتصور جاد يراعي الدقة وأيضًا الواقعية ونعيد صياغة هذه الخدمة بما تتضمنه من تفاصيل

مختلفة وتقوم الكنيسة العامة بدورها الأساسي في إعادة صياغة كل ما يخص هذه الخدمة لأنه من الغريب أن ما تم خلال القرن الأول من تطورات كبيرة في هذه الخدمة - بداية من مبادرة وجودها وتوصيفها - حتى صياغتها بالصورة التي توضحها لنا الكلمة ثم يتوقف الأمر عند هذا الحد ويمر عشرون قرنًا من الزمان وتظل في نفس الشكل والأسلوب دون تطوير وتنمية وإبداع! نحن لا نرث تنظيمات وأشكالاً ولكننا نرث رسالة لا تتغير.

لقد كانت هذه الدراسة مفيدة لي بشكل كبير، وأصلِّي أن يستخدم الرب هذا المجهود المتواضع لخدمة كنائسنا المحلية والعامة للتشجيع على تفعيل هذه الخدمة، وأيضًا لكل الشمامسة في كل الكنائس وأيضًا من يفكرون في أن يخدموا الرب في هذه الوظيفة لكي تكون محاولة للتعريف بالخدمة، فأعتقد أنه يمكن أن يُستخدم هذا الكتاب كمنهاج لتعليم المقبلين على الخدمة كشمامسة، وأيضًا أشجع كل قادة الكنيسة من شيوخ وقسوس بالاهتمام بهذه الخدمة التي يمكن أن تنهِض الكنيسة المحلية والعامة، فهي طاقة وثروة تحت الطلب تحتاج لإعادة الاكتشاف وأيضًا وضعها على المسار الصحيح.

المراجع

ق. إلياس مقار رجال الكتاب المقدس -الجزء الرابع. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٦.

القس بروس: التفسير الحديث للكتاب المقدس رومية. ترجمة نجيب إلياس القاهرة – دار الثقافة ١٩٩٤.

الأب بولس الفغالي. المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم. لبنان: المكتبة البوليسية ٢٠٠٣.

د.ق. ثروت قادس الدياكونية. القاهرة: دار الثقافة.

د.ق. جون ستوت المعمودية والملء. ترجمة القس رضا عدلي. القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٥.

د.ق. جون ستوت المسيحية والقضايا المعاصرة. ترجمة نجيب جرجور. القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٣.

دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٥. بيروت دار النشر المعمدانية ١٩٧٩.

دونالد جوثري. التفسير الحديث للكتاب المقدس الرسائل الرعوية. ترجمة نكلس نسيم القاهرة : دار الثقافة ١٩٩٤.

رينا مسعد وآخرون. الشماسة في الكنيسة بيروت. مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٨٣.

د.ق. صموئيل حبيب الإدارة الكنسية .القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٨.

د.ق صموئيل حبيب المسيحية والإنسان القاهرة دار الثقافة ٢٠٠٧.

د.ق. صموئيل حبيب المرأة في الكنيسة والمجتمع. القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٤.

د.ق. عيسي دياب مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها. بيروت: مدرسة اللاهوت المعمدانية العربية ٢٠٠٩.

د.ق. غسان خلف الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية. بيروت: دار النشر المعمدانية ١٩٧٩.

د.ق فايز فارس وآخرون. إيماني الإنجيلي. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٨.

فريدا حداد. شموسية النساء في تراث الكنيسة الشرقية. بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٨٣.

د.ق. فهيم عزيز المدخل إلى العهد الجديد. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٠.

مايكل جرين. ثلاثون عامًا غيرت العالم القاهرة: دار النشر الأسقفية ٢٠٠٤.

مايكل يوسف. أسلوب يسوع فب القيادة. ترجمة القس باقي صدقة. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٩.

الأنبا متاؤس. الشمامسة والشماسات. القاهرة: مكتبة أسقفيه الشباب ١٩٩٤.

الأب متى المسكين. شرح أعمال الرسل. وادى النطرون: مطبعة دير أنبا مقار ١٩٩٥.

الأب متى المسكين. شرح رسالة رومية. وادى النطرون: مطبعة دير أنبا مقار ١٩٩٢.

ق. هندركسون المرشد الكنسي للشيوخ والشمامسة. تعريب أنسي عبد الملك. القاهرة: مطبعة.....١٩٥٢.

د.ق. مكرم نجيب بناة المستقبل من هم؟ القاهرة: دار الثقافة. ٢٠٠٤.

هوارد مارشال. التفسير الحديث للكتاب المقدس «أعمال الرسل». ترجمة نجيب جرجور.

القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٢.

وليم باركلي. الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس وفليمون. ترجمة لطيف زكي بدروس. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٨م .

وليم باركلي. تفسير أعمال الرسل. ترجمة جوزيف صابر. القاهرة: دار الثقافة ١٩٩١.

وليم ماكدونالد. أحب المسيح الكنيسة. ترجمة عدلي فام. بيروت: مدرسة عمواس للكتاب المقدس ١٩٦٥.

وليم وهبة دائرة المعارف الكتابية. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٨.

ق. يوسف عبد النور دراسة في أعمال الرسل. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٧.

-A. Salapatas, «A Short Essay on Early Church History», Theologia, vol. 70., issue 23-, Athens 1999

- Alexander Strauch The New Testament Deacons U.S.A Lewise & Routh Publishers 1992.

- Charles W. Deweese, The Emerging Role of Deacons, Broadman Press., 1979.

- Duane L.C.M. Galles Deacons Yesterday and Today, Trinity Communications 1996.

- John Calvin Sermons Of Epistles On Timothy, Titus, London Repr Edinburgh Bannar Of Truth 1983.

- John Calvin Commentary on Acts – volume1 Henry Beveridge Grand Rapids, mi: Christian Classics Ethereal Library 1999.

- John Calvin Commentary on Timothy, Titus, Philemonwilliam Pringl Grand Rapids, mi: Christian Classics Ethereal Library 1999.

- John N. Collins Deacons & The Church England M.p.g books Bodmin 2007.

- John R. Stottb The Message of Acts England I. V.P 1996.

Jeannie e. Olson Calvin & Social Welfare Associated University Press 1989. –

Martin K. Bussey The Message of Romans Grace Baptis Mission U.K 1997.

Ormonde Plater Many Servants Boston Cowley Publications 1991.-

Robert E. Naylor, The Baptist Deacon, Broadman Press, 1955.-

The Presbyterian Deacon Earl S. Johnson Louissville Geneva Press 2003.

Timothy George, Theology of the Reformers, Broadman Press 1988. -

William Ramsay Historical Commentary of the Pastoral Epistles Grand Rapids., Mi Kregel 1996.

www.biblestudytools.com

www.lexamoris.com

www.baptiststart.com

www.orthodoxlegacy.org

www.presbyterianmission.org